روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

دونا كارولينا

٦٠

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● دونا كارولينا ● ٦٠ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

دونا كارولينا

- كيف نجحت (دونا كارولينا) ، زعيمة (المافيا) الجديدة ، فى اجتذاب (أدهم صبرى) إلى وكرها ؟
- ماذا يفعل رجل المستحيل ، حينما يواجه وحده عصابات (المافيا) فى قلب روما ؟
- لمن يكون النصر فى هذه الجولة الجديدة ، بين رجل المستحيل وعصابات (المافيا) ؟.. لـ (أدهم صبرى) أم لـ (دونا كارولينا) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل رجل المستحيل .



العدد القادم : ملائكة الجحيم

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ الزائرة ..

أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة والنصف صباحًا ، حينما توقَّفت واحدة من سيارات الأجرة أمام بناية أنيقة ، تحتل ناصية شارع فسيح ، فى حىّ (مدينة المهندسين) بالقاهرة الكبرى ، وهبطت منها فتاة فى أوائل العشرينات من عمرها ، شقراء الشعر ، زرقاء العينين ، ورديَّة البشرة تنمّ ملامحها وطريقة ارتدائها لثيابها ، على أنها ليست مصريَّة ، أوحتّى عربيّة ، ولقد بدا ذلك واضحًا ، حينما نقدت السائق أجره ، وهى تسأله عن أمرٍ ما بلغة إنجليزية ركيكة ، ممطوطة النهايات ، ومن حَيْرة السائق ، الذى لوَّح بكفّه ، وهزَّ كتفيه ، وكأنما يعلن عجزه عن فهمها وهو يعيد إليها تلك الورقة الصغيرة ، التى خطّ عليها ذلك العنوان الذى أوصلها إليه ، بحروف عربيَّة مهتزّة ، تؤكّد أن كاتبها لا يجيد العربية كثيرًا ، والتى أعطته إيَّاها حينما استقلّت سيَّارته ، وظهرت الحَيْرة على وجه الفتاة ، حينما تركها السائق وانصرف ، والتفتت إلى البناية الضخمة تتأمَّلها فى قلق ، ثم لم تلبث أن اندفعت إليها فى خطوات متوتِّرة سريعة ، ووقفت فى مدخلها تدير بصرها حولها فى حَيْرة ، قبل أن تندفع إلى حجرة

البوَّاب ، وتدقّ بابها بقبضة مرتجفة .. ومضت لحظات من السُّكون ، قبل أن يظهر البواب ، وهو نصف مستيقظ ، وحدَّق فى وجهها فى دهشة وتساؤل ، فسألته فى ارتباك ، بلغتها الإنجليزية الركيكة :

ـــ فى أى طابق ، وأية شقة يقيم السيِّد (أدهم صبرى) ؟

لم يفهم البوَّاب من العبارة كلها سوى اسم (أدهم صبرى) ، فسألها فى حَيْرة :

ـــ أتريدين السيِّد (أدهم) ؟

أومأت الفتاة برأسها إيجابًا فى قوة ، وهى تقول :

ـــ نعم .. نعم .. (أدهم صبرى) .

أشار البوَّاب بيده إلى المِصْعَد ، وفتح فمه ليخبرها ، ثم لم يلبث أن أطبق شفتيه فى حَيْرة ، عاجزًا عن شرح الأمر لها بلغة تفهمها ، وهزَّ كتفيه ، وهو يغمغم :

ـــ حسنًا .. سأقودك إلى شقته .

استقلَّ معها المِصْعَد ، الذى وصل بهما إلى الطابق الَّذى يقيم فيه (أدهم) ، وقرع البوَّاب باب شقته فى رفق ، ثم ضغط زِرّ الجرس ، وهو يقول :

ـــ المهم أن نجده هنا ، فهو كثيرًا ما يغيب عن شقته بالأسابيع والشهور ، دون سابق إنذار ، ولا يوجد مخلوق

واحد فى البناية كلها يمكنه أن يخبرك أين هو ، أو متى يعود .. بل إن أحدًا لا يدرى طبيعة عمله بالضبط .

تنبَّه فجأة إلى عدم جَدْوَى حديثه ؛ لأن الفتاة لن تفهم منه حرفًا واحدًا ، فعاد يُطْبق شفتيه ، ويعقد حاجبَيْه ، وكأنما أحنقه ذلك ، وضغط زِرّ الجرس مرَّة أخرى دون أن يجيبهما سوى الصمت والسكون ، فهزَّ البوَّاب رأسه فى أسف ، وغمغم :

ـــ إنه غير موجود .

حَدَّقت الفتاة فى وجهه فى حَيْرَة وجزع ، فأخذ يلوِّح بذراعيه ، محاولًا شرح الأمر لها ، حتى اتسعت عيناها فى ذُعْر ، يوحى بفهمها للأمر ، وشِدَّة أسفها له ، وبدت أقرب إلى اليأس ، وهى تهبط معه فى المِصْعد ، ولم يكد يتوقَّف بهما فى الطابق السفلى حتى اندفعت خارجه فى عصبية ، مما جعلها تصطدم برجل وسيم ، كان ينتظر المِصْعَد بدَوْرِه ، فغمغمت فى ارتباك :

ـــ معذرةً يا سيِّدى .. إنه خطئى .. لقد كنت مسرعة و ..

قاطعها الرجل فى صوت هادئ ، وبلغة إسبانيَّة سليمة :

ـــ لا عليك .. إنه أمر بسيط ، لا يستحق الاعتذار .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، وهى تغمغم فى حَيْرَة :

ـ كيف علمت أننى إسبانية ؟!.. لقد تحدَّثت إليك بالإنجليزيَّة و ..

عاد يقاطعها فى هدوء ، وهو يبتسم ابتسامة جذَّابة :

ـ لغتك الإنجليزية ركيكة للغاية يا سيِّدتى ، وهى تحمل لكنة إسبانية واضحة .

غمغمت الفتاة بالإسبانية فى دهشة :

ـ يا إلهى !!

تضاعفت دهشتها أمام ذلك الحماس الشديد ، الذى انتاب البوَّاب ، وهو يتحدَّث إلى الرجل ، ويلوِّح بذراعيه فى قوَّة ، وهو يشير إليه وإليها ، والرجل يستمع إليه فى اهتمام واضح ، ثم وصلت دهشتها إلى ذِرْوَتها ، حينما التفت الرجل إليها ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ يبدو أن اصطدامنا كان بمثابة مصادفة سعيدة ، لك على الأقل ، فأنا الرجل الذى تبحثين عنه .. أنا (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

* * *

ألقت الإسبانية جسدها المنهك فوق أول مقعد وثير ، فى رَدْهَة منزل (أدهم) ، وهى ما زالت تتأمَّله فى دهشة وحَيْرة ، فى حين جلس هو قبالتها فى هدوء ، وهو يسألها :



وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ يبدو أن اصطدامنا كان بمثابة مصادفة سعيدة لك على الأقل .

— لِمَ تبحثين عنّي يا سنيوريتا ؟
غمغمت فى مرارة واضحة :
— سنيورا يا سنيور (أدهم) ، فأنا زوجة ، وأم .
رفع حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :
— عجبًا !!.. إنك تبدين صغيرة السِّنّ .
ثم ابتسم مستطردًا :
— حسنًا يا سنيورا ، ماذا تريدين من (أدهم صبرى) ؟
ازدردت الفتاة لُعابها على نحو ملحوظ ، ومالت إلى الأمام ، وهى تقول فى توتُّر :
— إن حياة زوجى وابنى معلَّقة بك يا سنيور (أدهم) .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :
— يا إلهى !!.. وكيف يكون ذلك ؟
زفرت الفتاة فى مرارة ، وهى تقول :
— لقد اعتدت أنا وزوجى أن نصحب ابننا إلى دولة جديدة ، لنقضى بها إجازة الصيف من كل عام ، ولقد أوقعنا سوء حظنا فى خطإ اختيار (إيطاليا) هذا الصيف ، وذهبنا إلى (روما) .
استرخى (أدهم) فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يستمع إليها فى اهتمام ، وهى تستطرد فى انفعال :
— كانت الرحلة رائعة فى الأسبوع الأوَّل ، ثم انقلب

الأمر فجأة ، وعلى نحو مباغت مذهل ، فبينما كُنّا نستقل سيّارة عبر منطقة جبلية سياحية ، انقضّت علينا سيارة ضخمة ، وهبط منها خمسة رجال يحملون المدافع الرشّاشة ، واختطفونا بالقوّة ، ونقلونا إلى قصر منيف ، حيث التقت بنا (دونا كارولينا) .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى تساؤل :
— (دونا كارولينا) ؟!
أومأت الإسبانية برأسها إيجابًا ، ولعقت شفتيها بلسانها الجاف ، وهى تتابع :
— نعم .. ولقد علمنا فيما بعد أنها زعيمة عصابات (المافيا) .
رفع (أدهم) حاجبيه فى دهشة ، ثم عاد يعقدهما ، وهو يعود بذاكرته فى لمحات سريعة إلى صراعاته السابقة مع (المافيا) ، حينما تسبَّب فى مصرع (دون كارلو) ، و (جروشو مانيالى) ، آخر زعماء (المافيا) ، وتذكَّر حينئذ أن مفتش الشرطة الإيطالى ، الذى عاونه على مغادرة إيطاليا فى النهاية ، قد أخبره أن (كارولينا) هى آخر من بقى من أبناء (دون ريكاردو) ، زعيم (المافيا) السابق(*) ..
وابتسم (أدهم) فى هدوء ، وقد عاودته الرغبة فى اقتحام عرين (المافيا) مرَّة أخرى ، وقال فى هدوء :

(*) راجع قصة (الضربة القاضية) .. المغامرة رقم (٤٩) .

ـــ هل أصبحت (كارولينا) هى الزعيمة ؟.. هذا يبرّر إذن حملها للقب (دونا) .

بدا اليأس والتخاذل على وجه الإسبانية ، وهى تقول :

ـــ لقد أدهشنا وأرعبنا اختطافها لنا ، وأقسمنا لها أننا مجرَّد سائحين ، لا شأن لنا بأمور (المافيا) أو الشرطة ، فأجابتنا فى هدوء أن أمرنا لا يعنيها ، وإنما هى تريدك أنت .

غمغم (أدهم) فى برود :

ـــ وما شأنى بكم ؟

هتفت الإسبانية فى ألم :

ـــ بل قل وما شأننا بك ؟.. لقد ألقينا عليها هذا السؤال ، فضحكت فى سخرية ، وقالت إن سوء حظنا قد جعلنا نصبح الطعم ، الذى سيجتذبك إليها .

عاد (أدهم) يغمغم فى برود :

ـــ وكيف تتصوَّر ذلك ؟

لوَّحت الإسبانية بذراعيها فى توتُّر ، وهى تقول :

ـــ أقسم لك أننى لا أفهم ، ولكنها تقول إنك شهم ، حتى أنك لن توافق على مصرع زوجى وابنى من أجلك ، وإنك لن تتردَّد فى الذهاب إليها لإنقاذهما .

ثم استطردت فى يأس وضراعة :

ـــ هل يمكنك أن تفعل ذلك حقًّا يا سنيور (أدهم) ؟

تأمَّلها (أدهم) لحظة فى هدوء ، ثم نهض من مقعده ، واتجه إلى النافذة الضخمة فى منتصف حائط الرَّدْهة الأيسر ، وتطلَّع عبرها إلى الشارع المظلم الساكن بعض الوقت ، قبل أن يلتفت إلى الإسبانية ، قائلًا فى هدوء :

ـــ وماذا لو أننى رفضت ؟

ظهر الجزع على وجه الإسبانية ، وهى تهتف :

ـــ سيقتلون زوجى وابنى بلا رحمة .

وتفجَّرت الدموع فى عينيها ، وهى تقول :

ـــ أرجوك يا سنيور (أدهم) .. أتوسَّل إليك .. ألا يمكنك أن تقدِّر شعور أمّ ، وهى تعلم أن ابنها الوحيد سيلقى حتفه ، بأيدى هؤلاء الأوغاد ؟

ظهر الأسف على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ـــ إنك تطلبين منّى التضحية بحياتى يا سيِّدتى .

تحجَّرت الدموع فى عينى الإسبانيَّة لحظة ، ثم عادت تنفجر فى قوَّة ، وهى تدفن وجهها فى راحتيها ، هاتفة :

ـــ أنت على حقّ .. إننى أطلب منك ما يفُوق قدرات البشر .. أنت على حقّ .

ثم تناولت من حقيبتها بعض أوراق ، ألقتها أرضًا فى ألم ، وهى تهتف :

ـ فليذهب الأمر كله إلى الجحيم .. لقد فقدت ولدى وزوجى .

وأجهشت ببكاء حارّ ، وتأمّلها (أدهم) لحظة فى أسف ، ثم انحنى يلتقط تذكرتى سفر ، قرأ الاسم المدّون على إحداهما ، ثم غمغم فى سخرية :

ـ هل أرسلت لى (كارولينا) تذكرة الطائرة أيضًا ؟

قالت الإسبانية من وسط دموعها :

ـ نعم .. ولقد كان من المفروض ـ إذا ما وافقت ـ أن نسافر معًا فى الفجر إلى (روما) ، ولقد أكّدت لى أنك ستحصل على تأشيرة الدخول من مطار (روما) .

تنهّد (أدهم) ، وهو يتمتم فى خفوت ، وكأنما يحادث نفسه :

ـ إذن فقد أعدّت (دونا كارولينا) كل شىء ، وقرّرت أن تدفعنى لقتالها هذه المرّة بأوراق عارية مكشوفة ، وطبقًا لخطة وضعتها هى .

ثم أردف فى سخرية :

ـ حتى التذكرة التى أرسلتها تذكرة بلا عودة ، من القاهرة إلى (روما) فقط ، وكأنما تؤكد ثقتها فى النصر ، وفى أننى لن أحتاج إلى العودة .

جفّفت الإسبانية دموعها ، وهى تقول فى يأس مؤلم :

ـ لا عليك يا سنيورُ (أدهم) .. إننى لم أتوقّع موافقتك قط .. لقد كانت محاولة يائسة فحسب .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ خطأ يا سنيورا (چوليا) .

رفعت عينيها إليه فى دهشة ، فابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ لقد قرأت اسمك فى تذكرة السفر يا سنيورا (چوليا) ، وأؤكد لك أن الرأى الذى كوّنته خاطئ .

هتفت فى عصبية وانفعال :

ـ ماذا تعنى ؟.. هل ..؟ .. هل ؟

أجابها فى مزيج مدهش من الهدوء والصرامـة والحزم والسخرية :

ـ نعم يا سنيـورا .. سأحقّق لـ (دونـا كارولينـا) ما تصبو إليه .. سأذهب إليها فى عرينها .

تطلّعت إليه فى دهشة عارمة ، وانفعال شديد ، فأردف فى سخرية :

ولعلّ ذلك من سوء حظها ..

واتّسعت ابتسامته الساخرة فوق شفتيه ..

* * *

٢ ـ عودة الشيطان ..

« ما عملك بالضبط يا سنيور (أدهم) ؟ » ..

نطقت (چوليا) بهذا السؤال فى صوت هامس ، وهى تهبط إلى جوار (أدهم) ، فى درجات سلم الطائرة ، فى مطار (روما) ، فابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ رجل أعمال عادىّ يا سنيورا ، وهذا مدوَّن فى جواز سفرى .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى حِدَّة :

ـ جواز سفرك لا يعنينى يا سنيور (أدهم) ، من المستحيل أن تفعل (المافيا) كل هذا ، من أجل رجل أعمال عادىّ .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

ـ إذن فأنا رجل (أعمال) غير عادىّ ، هل يرضيك ذلك ؟

تنهَّدت وهى تقول :

ـ فلنحذف كلمة (أعمال) ، ونكتفى بعبارة (رجل غير

عادىّ) يا سنيور (أدهم) ، فالرجل الذى يضحك بهذا المرح ، وهو يعلم أنه مقدم على الموت ، رجل غير عادىّ بالتأكيد يا سنيور (أدهم) .

صمت (أدهم) لحظة ، وهى تنتظر إجابته فى لهفة ، ولكنه عاد يبتسم فى سخرية ، وهو يقول فى هدوء :

ـ فليكن يا سنيورا ، إننى رجل غير عادىّ .

أرادت أن تعترض مرَّة أخرى إلَّا أن (أدهم) استطرد فى صرامة :

ـ وهذا آخر ما يمكن قوله فى هذا الشأن .

نمَّت ملامح (جوليا) عن الغضب ، إلَّا أنها أطبقت شفتيها ، وسارت إلى جوار (أدهم) فى صمت حتى وصلا إلى المنطقة الجمركيَّة ، وهناك ناول (أدهم) جواز سفره إلى ضابط الجوازات ، وهو يقول فى لهجة تنطوى على التحدّى :

ـ لست أحمل تأشيرة دخول .

ألقى الرجل نظرة هادئة على جواز السفر ، ثم ابتسم فى خبث ، وهو يقول :

ـ بل تحمل يا سنيور (أدهم) .

ووضع الجواز أمامه ، وختمه بتأشيرة الدخول فى هدوء ، ثم أعاده إلى (أدهم) ، وهو يستطرد فى شماتة واضحة :

ـــ أعتقد أن تذكرتك بلا عودة يا سنيور (أدهــم) ، ولكن هذا لا يهم ، فهى ستكفيك ؛ لأن رحلتك ستنتهى هنا .

التقط (أدهم) جواز السفر فى برود ، وأعاده إلى جيبه ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ دعابة سخيفة أيها الوغد ، سأعلّمك كيف تكون الدُعابات الأنيقة حينما نلتقى ، فى رحلة عودتى إلى القاهرة .

احتقن وجه الرجل فى غضب ، ونقّل بصره إلى (چوليا) لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوءه ، وهو يغمغم :

ـــ ستطيب لك الإقامة فى مقابرنا ، إلى الأبد يا سنيور (أدهم) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ لا تتحدّث عن مقابركم يا صديقى ، فربّما أرسلتك لتستقر بها عن قريب .

احتقن وجه الرجل غضبًا مرّة ثانية ، ولكنه لزم الصّمْت ، وأشاح بوجهه عن (أدهم) ، الذى واصل طريقه إلى جوار (چوليا) ، التى قالت فى دهشة :

ـــ إنك تتحدّاهم بصورة سافرة .

هزّ كتفيه ، وهو يقول فى لا مبالاة :

ـــ وما الفارق يا سنيورا ، إننا نلعب بأوراق مكشوفة .

كانت لهجتها أقرب إلى الجذل ، وهى تقول :

ـــ يبدو أن اللعبة تروق لك .

قبل أن يفتح شفتيه ليجيبها ، ارتفع صوت عبر مكبّرات الصوت يقول بالإيطالية :

ـــ سنيـور (أدهــم صبرى) مطلــوب فى مكــتب الاستعلامات .

أخذ النداء يتكرَّر على نحو (آلىّ) فى حين ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أدهم) ، وهو يلتفت إلى رفيقته ، قائلًا :

ـــ هل رأيت ؟.. لقد بدأت اللعبة بأوراق مكشوفة .

* * *

وقف (أماريللو) ، الساعد الأيمن لـ (دونا كارولينا) ، أمام مكتب الاستعلامات ، يدير بصره حوله فى قلق وتوتُّر ، ويتحسَّس المسدَّس الضخم ، الذى يختفى أسفل قميصه المزركش الفضفاض ، بحركات عصبية واضحة ، وينظر إلى ساعته ما بين لحظة وأخرى ، ثم غمغم فى حَنَق :

ـــ أين ذهب ذلك الشيطان ؟.. إنهم يكرِّرون النداء منذ نصف ساعة .

امتلأت نفسه بالقلق ، ولكنه لم يلبث أن غمغم فى عصبية :

ـ ولكنه لن يفرّ من المطار ، فرجالنا يراقبون كل مخارجه .. لن يفرّ .

وكان قلقه سيتحوّل إلى ذهول ، وغضب عارمين ، لو أنه انتقل بسمعه إلى خارج المطار ، وسمع (جوليا) ، وهى تهمس فى ذهول :

ـ ألم أقل لك إنك شخص غير عادىّ ؟.. إنك فى الواقع شيْطان .. كيف أمكنك أن تبدّل ملامحك وملامحى بهذه السُّرْعة ، وعلى هذا النحو المُذْهِل .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، فى حين أردفت هى فى مزيد من الذُّهول :

ـ والأدهى أنك فعلت كل ذلك داخل كابينة هاتف زجاجية ، دون أن ينتبه أحد إلى ما تفعله .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـ لا تجعلى كل خطوة تذهلك إلى هذا الحدّ يا سنيورا ، وإلّا قضيت نحبك ، قبل أن نسترجع زوجك وولدك .

عقدت حاجبيها ، وهى تغمغم فى اهتمام :

ـ والآن ماذا سنفعل ؟

زفر (أدهم) فى ضيق ، وقال فى هدوء :

ـ سنيورا .. هل يمكنك أن تكفّى عن إلقاء الأسئلة ، وتكتفى بالإجابة عن أسئلتى ؟

قالت فى غضب :

ـ نعم .. يمكننى ذلك ، ماذا تريد معرفته ؟

انحنى نحوها ، وهو يسألها فى اهتمام :

ـ أين قصر (دونا كارولينا) ؟

تطلّعت إليه فى قلق ، ثم ذكرت عنوان القصر ، فابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هذا طريف .. لن يكون الأمر عسيرًا إذن ، فلقد اقتحمت هذا القصر قديمًا ، وأنا أصارع (جروشو) ، الذى تزعّم (المافيا) ، بعد أن تخلّص من (دون كارلو) ، وأوهم الجميع أننى فعلت ذلك (*) .

هتفت (جوليا) فى دهشة :

ـ ألم تفعل ذلك حقًّا ؟

هزّ كتفيه وهو يقول :

ـ بالطبع .. فلست قاتلًا ، يهوَى إراقة الدماء .

---

* راجع قصة (الرصاصة الذهبية) .. المغامرة رقم (٤٧) .

عقدت حاجبيها ، وهى تتمتم فى شرود :

ــ عجبًا .. لقد كنت أظن ..

ثم بترت عبارتها ، وهى تستطرد فى اهتمام :

ــ المهم .. هل سنقتحم قصر (دونا كارولينا) ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال فى هدوء :

ــ لن نقتحم يا سنيورا .. بل سأقتحمه وحدى ، فهذا العمل يحتاج إلى خبرات خاصّة ، ولن يمكنك ..

قاطعته فى عناد :

ــ بل سنذهب معًا .

عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب ، واستدار إليها ، قائلًا فى صرامة :

ــ اسمعى يا سنيورا (چوليا) .. إننى هنا ، أخاطر بمواجهة (المافيا) كلها من أجل زوجك وابنك ، ولست فى رحلة سياحية ، أو زيارة وديّة ، وأنا أكره العناد ، والإصرار على إفساد خططى ، ومهمتك ستقتصر على انتظارى حتى أعود إليك بزوجك وابنك ، ولا شىء أكثر من ذلك .. فهل فهمت ؟

امتقع وجهها ، وهى تغمغم :

ــ نعم .. لقد فهمت .

اعتدل وهو يقول فى هدوء :

ــ عظيم .. هكذا فقط يمكن أن يعود (شيطان المافيا) (*) .

سألته فى دهشة :

ــ من ؟!

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ لا عليك يا سنيورا .. سيدرك أوغاد (المافيا) هذا المساء ، ماذا تعنيه عودة (شيطان المافيا) .

* * *



* راجع قصة (شيطان المافيا) .. المغامرة رقم (٤٨) .

وكمن فوق أحد أغصانها القوية ، يتفحَّص حديقة القصر ، وحركة الحرَّاس فى خبرة واهتمام ..

٣ ــ فى ظلام الليل ..

سطعت الأضواء فى قصر (دونا كارولينا) المنيف ، بعد غروب الشمس ، فبدا متألقًا ككتلة من الماس ، تحت ضوء الشمس ، وسط المنطقة المقفرة ، التى تحيط به ، وتحرَّك رجال (المافيا) بمدافعهم الرشَّاشة فى حديقة القصر ، وأمام بوَّابته ، وهم يتلفَّتون حولهم فى حذر وعدوانية ، ورصاصات مدافعهم الرشَّاشة تتململ فى خزَّاناتها ، وتتأهَّب للانطلاق ، وإصابة الأهداف الحيَّة ، التى تجرؤ على الاقتراب من القصر ..

ووسط الظلام المحيط بالقصر ، تسلَّل (أدهم صبرى) فى خفة الفهد ، مرتديًا قميصًا أسود اللون ، وسروالًا داكنًا ، وتحرَّك فى خطوات رشيقة سريعة نحو منطقة يعرفها جيِّدًا ، من خبراته السابقة ، وتوقَّف لحظة ليرهف سمعه ، حتى يتأكَّد من أن أحدًا لم ينتبه لتسلُّله ، ثم تعلَّق بشجرة قوية ، تطلُّ أغصانها على السور الشمالىّ للقصر ، وتسلقها فى خفة ومرونة ، وكمن فوق أحد أغصانها القوية ، يتفحَّص حديقة القصر ، وحركة الحرَّاس فى خبرة واهتمام ، ثم غمغم فى خفوت :

ـــ واحد .. اثنان .. ثلاثــــة .. ثلاث ثوان .. إذن فالحرَّاس الخمسة لهذه المنطقة يُولُّون ظهورهم لتلك البقعة لمدة ثلاث ثوان .. أعتقد أنها تكفى .

وعاد يراقب الحرَّاس الخمسة ، وهم يتحرَّكون فى حديقة القصر بخطوات آليَّة مدروسة ، حتى حانت اللحظة التى أدار الجميع فيها ظهورهم إليه ، وهنا قفز (أدهم) كالنمر ، وهبط بقدميه فوق سور القصر جزءًا من الثانية ، قبل أن يقفز مرة أخرى ، هابطًا الأمتار الأربعة ، التى يرتفع بها السور عن أرض الحديقة ..

ولم يكد (أدهم) يمسّ أرض الحديقة بقدميه ، حتى اندفع يعدو نحو القصر ، ثم ألقى جسده أرضًا ، فى نفس اللحظة التى أدار فيها الحرَّاس الخمسة وجوههم إليه ، دون أن يلمحه أحدهم ، وهو يختفى وسط حشائش الحديقة ، ويحبس أنفاسه ، ويتابعهم ببصره فى حَذَر واهتمام ..

ومضت بضع دقائق ، قبل أن يُولِيه الحرَّاس الخمسة ظهورهم مرَّة أخرى ، فقفز واقفًا على قدميه ، واندفع نحوهم كالصاروخ ، وحينما أدار الحرَّاس وجوههم إليه ، استقبلتهم قبضاته وركلاته كعاصفة عاتية مفاجئة ..

تحطَّمت فكّ الحارس الأوَّل بلكمة ساحقة ، وتهشَّم أنف الثانى بركلة كالقنبلة ، وتلقَّى الثالث صاعقة على عنقه ، ألقته أرضًا كالجثة الهامدة ، ورفع الرابع والخامس فوَّهتى مدفعيهما الرَّشَّاشين ، ليطلقا النار على (أدهم) ، ثم خيِّل إليهما أنه قد اختفى من أمام عيونهما فجأة ، وقبل أن يحدِّقا فى المكان الذى كان يقف فيه بذهول ، هبط على قدميه أمامهما ، وأطاح بمدفعيهما الرشَّاشيْن بركلتين متعاقبتين كالبرق ، ثم حوَّل أنف أحدهما إلى كُومة من اللحم المفرى بلكمة خاطفة ، ثم أحاط عنق الثانى بذراع كالفولاذ ، وهو يقول فى صوت خافت ، صارم ، قاس :

ـــ أين (دونا كارولينا) ؟

حاول الحارس المسكين عبثًا التخلُّص من قبضة (أدهم) الفولاذيَّة ، وهو يقول فى صوت متحشرج مختنق :

ـــ إنها فى القصر .. لقد وصلت اليوم .. وهى تنتظرك ، إذا ما كنت أنت ذلك الشيِّطان المصرىّ .

أجابه (أدهم) فى خشونة ، وهو يشدِّد قبضته على عنقه :

ـــ أنا هو أيها الوغد .. أين تجلس (كارولينا) الآن ؟

كاد الحارس يختنق ، وهو يغمغم فى ألم :

ـــ فى رَدْهة القصر .. مع (أماريللو) .. إنها تنتظرك .
أجابه (أدهم) فى سخرية :
ـــ لن أدعها تنتظر طويلًا أيها الوغد ..
ثم أخرسه بلكمة قويَّة على مؤخرة عنقه ..

* * *

أصبح الجزء الشمالىّ من القصر ملك يمين (أدهم صبرى) ، بعد أن تخلَّص من الحرَّاس الثلاثة ، وكان عليه أن يتحرَّك فى سرعة ، حتى يصل إلى هدفه قبل أن يستعيد أحد الحرَّاس وعيه ، أو يكشف حارس آخر الأمر ، فيفقد هو عنصر المفاجأة ..

وفى خفة فهد ، ومرونة قط ، تعلَّق (أدهم) بالنتوءات الصغيرة فى حائط القصر ، وأخذ يتسلَّقه فى سرعة ورشاقة ، حتى وصل إلى نافذة فى الطابق العلوىّ ، فتحسَّس إطارها فى خِبْرة واهتمام ، ثم أخرج من جيبه مُدْية صغيرة ، من ذلك النوع العادىّ ، الذى يباع فى كل المحال الصغيرة ، ودسّه فى الفراغ الصغير بين مصراعى النافذة ، وأخذ يحرِّكه على نحو يوحى بأن صاحبه لصّ محترف ، أو خبير فى مثل هذه الأمور ، حتى صدر من النافذة صوت خافت ، جعل (أدهم) يعيد

المدية إلى جيبه ، ثم يجذب مصراعى النافذة فى هدوء ، فانفتحت أمامه فى يُسر وسهولة ..

وتطلَّع (أدهم) داخل الحجرة المظلمة فى حَذَر ، ثم قفز داخلها فى خفة ، وتصلَّب لحظة كتمثال من الحجر ، وهو يرهف سمعه ، قبل أن يعود إلى التحرّك فى خطوات رشيقة نحو باب الحجرة ، ويلصق أذنه به فى اهتمام ..

كان الجوّ خارج الحجرة ساكنًا ، هادئًا ، لا يُوحى بوجود مخلوق واحد ، وعلى الرغم من ذلك ، أخذ (أدهم) يفتح الباب فى حَذَر ، وهو يتطلَّع خارجه عبر فُرجة لا تتعدَّى سنتيمترًا واحدًا ، فطالعه ممر متسع ، أنيق ، تمتلئ جدرانه بلوحات تشكيلية رائعة ، نادرة ، لكبار الفنَّانين ، فغمغم (أدهم) فى سخرية :

ـــ يبدو أن الزعيمة الجديدة من هواة الفن التشكيلى ، فلو أن (جروشو) هو الذى يقيم هنا ، لامتلأ الحائط برءوس ضحاياه .

كاد يطلق ضحكة ساخرة ، إلَّا أنه كتمها فى أعماقه ، ودفع الباب ، وعَبَر فى خطوات واثقة إلى الممرّ ، وكأنه يخطو داخل منزله فى القاهرة ، ولكنه لم يكد يفعل حتى ظهر (أماريلّو)

فى نهاية الممرّ ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويبتسم فى سخرية وشماتة ، وخلفه أربعة رجال يصوّبون مدافعهم الرشاشة إلى (أدهم) ، الذى تراجع فى خطوة حادّة ، ثم توقّف فى ثبات ، وارتسمت على شفتيه إبتسامة متهكّمة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ مرحبًا أيها الأوغاد .. أأنتم كل لجنة الاستقبال ؟

جاءه الجواب من خلفه ..

جاءه من النهاية الأخرى للممرّ ، فى صوت أنثوىّ هادئ ساخر ، يقول فى لهجة فيها من الجذل ، أكثر مما فيها من الشماتة :

ـ بل نصفها فقط يا سنيور (أدهم) .

كان الصوت مألوفًا لأذنىْ (أدهم) ، مما جعله يلتفت إلى مصدره فى حركة حادَّة ، ثم يرتفع حاجباه فى دهشة عجز عن كتمانها ، على الرغم من صلابته ، حينما وقع بصره على فتاة شقراء ، زرقاء العينين ، تتطلّع إليه فى سخرية ، وحولها أربعة رجال آخرون ، يصوّبون إليه مدافعهم الرشّاشة بدورهم ، ووجد نفسه يهتف فى ذهول :

ـ جوليا ؟! ..

ابتسمت الفتاة فى سخرية ، وهى تقول فى هدوء :

ـ بل (كارولينا) يا سنيور (أدهم) .. (دونا كارولينا) .

* * *

٤ ـ الشيطانة الصغيرة ..

لم يستغرق ذهول (أدهم) أكثر من لحظة واحدة ، عاد بعدها يبتسم فى سخرية ، ويعقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

ـ أهنئك يا (دونا كارولينا) .. إنك تستحقين جائزة (أوسكار) ، على أداء دور (جوليا) الإسبانية البائسة ، التى تسعى لإنقاذ زوجها وولدها المزعومين .. ولكنك بالغت فى أداء الدَّوْر ، فلم يكن هناك مايبرِّر قدومك بنفسك إلى منزلى فى القاهرة .

عقدت (دونا كارولينا) حاجبيها ، وفتحت فمها ، وكأنها تهمّ بنطق كلمة ما ، ثم لم تلبث أن أطبقت شفتيها لحظة ، وعادت تغمغم فى ضيق :

ـ كانت لى مبرِّراتى .

أطلق ضحكة ساخرة صغيرة ، وهو يقول :

ـ كنت تريدين أن تثبتى أنك أهل للزّعامة ـ أليس كذلك ؟

لم تجبه (دونا كارولينا) ، وبدت شديدة الضّيق ، فى حين قال (أماريلّو) فى سخرية ، وشماتة :

— هل نطلق عليه الرصاص يا (دونا) ؟

انطلقت من بين شفتى (أدهم) ضحكة ساخرة مجلجلة ، أثارت دهشة الجميع ، قبل أن ينظر إلى (كارولينا) ، قائلًا فى تهكُّم :

— من الواضح أن ذلك الوغد قليل الخبرة مثلك أيتها الزعيمة الصغيرة .

سألته (كارولينا) فى حَنَق :

— ماذا تعنى ؟

أشار (أدهم) خلف ظهره بحركة عابثة ، وهو يواصل حديثه الساخر ، قائلًا :

— هل تعلمين ماذا يمكن أن يحدث ، إذا ما أطلق هذا الغبىّ رصاصاته ؟.. ستصيبنى رصاصة أو اثنتين على الأكثر ، أما الباقى فسيعبر الممرّ ، ليصيبك أنت وأوغادك ، وهذا ما سيحدث عكسيًّا ، لو أن رجالك هم الذين أطلقوا النار .

احتقن وجه (أماريلُو) فى غضب ، فى حين غمغمت (كارولينا) فى دهشة :

— يا للشيطان !!.. هذا صحيح .. إننا نقف فى طرفى ممر مستقيم .

انحنى (أدهم) فى حركة مسرحيَّة ساخرة ، وهو يقول :

— معذرة يا أميرة الأوغاد .. سأضطر للانصراف ، حتى يمكنكم حل هذا الموقف السخيف .

ولم يكد يعتدل من انحناءته ، حتى اندفع فجأة إلى الحجرة التى خرج منها ، وصاحت (كارولينا) محذِّرة :

— لا تطلقوا النار .. إنه على حقّ .. أسرعوا خلفه .

اندفع الجميع نحو الحجرة التى اختفى فيها (أدهم) ، وقبل أن يصلوا إليها ، صكَّ أسماعهم صوت زجاج نافذتها وهو يتهشَّم ، فصاح (أماريلُو) فى غضب :

— اللَّعنة !!.. لقد قفز من النافذة .

وألقى نظرة سريعة على الحجرة ، ثم استدار يغادرها فى عجلة ، صائحًا :

— ولكنه لن يغادر القصر حيًّا .. لن يفعل ما دمت على قيد الحياة .

وأسرع يقفز درجات السلم هابطًا ، ورجاله خلفه بمدافعهم الرشَّاشة ، فى حين غمغمت (كارولينا) فى امتعاض ، وهى تمطّ شفتيها فى سخط :

— يا لكم من أغبياء !!

ثم التقطت من حزامها مسدَّسًا صغيرًا ، ذا لون فضِّىّ لامع ، وهى تستطرد فى سخرية :

ـــ الآن فقط علمت كيف هزم (أدهم صبرى) هذا (المافيا) أكثر من مرَّة ..
إنه يحارب عصابة من الحمْقى .
وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة ، وهى تردف :
ـــ وهو يستحق الفوز .

* * *

ساد الهرج ، وحلَّت الدهشة فى حديقة القصر ، حينما اندفع إليها (أماريلُّو) ، وخلفه الرجال الثمانية ، يحملون مدافعهم الرشَّاشة ، وهو يهتف فى غضب :
ـــ لقد نجح الشيطان المصرىّ فى الوصول إلى هنا ، تحت سمعكم وأبصاركم أيها الأغبياء .. سأعاقب الجميع ، إلَّا إذا نجحتم فى منعه من الفرار .. حاصروا الأسوار كلَّها ، وأطلقوا النار على كل من يحاول عبورها ، أو يقترب منها ، بلا تردُّد .
أسرع الرجال ينفِّذون الأمر فى توتُّر واضح ، فى حين أسرع (أماريلُّو) ورجاله الثمانية إلى الجانب الشمالىّ ، حيث قفز (أدهم) ، وأخذوا يفتشون المكان فى عصبيَّة وشراسة ، حتى قال أحدهم فى حِدَّة :
ـــ لقد عثرت على مسدَّسه .
هتف (أماريلُّو) فى دهشة :

ـــ مسدَّسه ؟! .. وكيف علمت أنه مسدَّسه ؟
ناوله الرجل المسدَّس ، وهو يقول فى انفعال :
ـــ إننا لا نستخدم هذا النوع من المسدَّسات هنا .. إنه من النوع الفيدرالى ، الذى يستخدمه رجال الأُمن فقط .
اختطف (أماريلُّو) المسدَّس ، وقلَّبه بين يديه فى دهشة ، ثم تلفَّت حوله ، وقال بصوت مسمُوع :
ـــ ولكن لماذا تخلَّى عنه ؟ .. وأين ذهب ؟ .. أين ؟

* * *

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يستمع إلى صوت (أماريلُّو) ، الذى تملؤه الدهشة ، من الحجرة المظلمة فى الطابق الثانى للقصر ، وغمغم فى صوت خافت ، مُفْعَم بالتهكُّم :
ـــ هنا أيها الوغد .. إنك لم تفحص الحجرة جيِّدًا ، قبل أن تسرع إلى الحديقة ، كان ينبغى ألا تدع الانفعال الأوَّل يخدعك ، عندما سمعت صوت تهشُّم الزجاج .
فوجئ بصوت (كارولينا) من خلفه ، يقول فى سخرية :
ـــ صدقت يا سنيور (أدهم) .
استدار (أدهم) فى سرعة خاطفة إلى مصدر الصوت ، فى نفس اللحظة التى سطع فيها ضوء الحجرة ، ورأى (كارولينا) تبتسم فى سخرية ، وهى تصوِّب إليه مسدَّسها الفِضِّىّ الأنيق ،

فبادلها ابتسامتها الساخرة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلًا :

ــ مَرْحَى يا (دونا) .. لقد أثبتِّ أنك تستحقين زعامة هؤلاء الأغبياء .

هزَّت كتفيها فى لامبالاة ، وهى تقول :

ــ أوافقك على أنهم أغبياء يا سنيور (أدهم) ، ولكن ماذا أفعل ؟.. إنه ميراثى من والدى دون (ريكاردو) ، الذى تسبَّبت فى مصرعه داخل زنزانة حقيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية(*) .

جلس (أدهم) فى هدوء على طرف الفراش الصغير ، الذى يتوسَّط الحجرة ، وهو يومئ بسبَّابته قائلًا :

ــ تصحيح يا (دونا) .. أنا لم أتسبَّب فى مصرع والدك .. حقده الدفين ، ورغباته الشريرة هى التى فعلت به ذلك .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ــ ولكنك المسئول عن هذا .

حرَّك كتفيه دلالة على اللامبالاة ، وهو يقول :

ــ فليكن ..

(*) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المغامرة رقم (١٩) .



جلس (أدهم) فى هدوء على طرف الفراش الصغير ، الذى يتوسَّط الحجرة ، وهو يومئ بسبَّابته قائلًا :

ــ تصحيح يا (دونا) .. أنا لم أتسبَّب فى مصرع والدك ..

ثم عاد يسألها فى لهجة أقرب إلى التهكُّم :

ـــ ولكن كيف استنتجت أننى لم أغادر الحجرة ؟

تألقَّت فوق شفتيها ابتسامة زهو ، وهى تقول فى هدوء :

ـــ لقد درست كل شىء يتعلَّق بك يا سنيور (أدهم) ، وتوصَّلت من خلال دراستى إلى أنك خبيث كالثعلب ، شجاع كالليث ، ماكر كالذئب ، وتميل دائمًا إلى اتخاذ الخطوات التى لا يتوقَّعها الجميع ، وهذا سِرّ نجاحك ؛ لذا فقد قدَّرت أنك ستلجأ إلى الخداع حتمًا ؛ لأن الفرار بالقوَّة لن يفلح وسط كل هذا العدد من الحُرَّاس المسلَّحين .

ثم ابتسمت فى خُبْث ، وهى تستطرد :

ـــ ثم إن النافذة كانت مفتوحة ، بعد أن استخدمتها لدخولك ، وكان يمكنك القفز عَبْرَها إلى الحديقة ، دون أن تضطر لتحطيم زجاجها .. أليس كذلك ؟

ابتسم (أدهم) فى إعجاب حقيقى ، وهو يقول :

ـــ رائع .. إننى أعترف لك بالذكاء يا (دونا) ، ويؤسفنى أن فاتنة مثلك تتزعَّم عصابة من القتلة الأوغاد ، مثل (المافيا) .

مطَّت شفتيها على نحو يُوحِى بالأسف ، وهى تقول :

ـــ أنا مضطرَّة لذلك ياسنيور (أدهم) .. للأسف .

ارتكن (أدهم) إلى الفراش بمرفقه ، كما لو كان يجالس صديقة عزيزة ، وهو يقول :

ـــ مضطرَّة ؟!.. ومِنْ أين يأتى الاضطرار ؟

تنهدَّت فى عمق ، وهى تقول :

ـــ لقد لقِىَ أشقَّائى مصرعهم ، وكذلك والدى ، بسببك أنت ، وحتى (جروشو) ، الذى تزعَّم المنظمة من بعدهم ، قتلته أنت وسط أطلال قديمة(*) ، ولم يعد باقيًا من عائلة (دون ريكاردو) سواى ، وكان علىَّ أن أتولَّى الزعامة ، وإلَّا فقدت العائلة زعامة (المافيا) إلى الأبد .. ولم يكن ذلك بالأمر السهل ، فالتقاليد الصقليَّة ، التى تحكم منظمة (المافيا) ـــ منذ نشأتها ـــ تحذر تَوَلِّى النساء منصب الزعامة ، ولكى أحطِّم هذه التقاليد ، كان علىَّ أن أقوم بعمل عجز عنه الجميع ، وعلى نحو بالغ التنسيق والأناقة ، حتى أكتسب احترام الجميع ومهابتهم ، ولم يكن هناك عمل فشلت فيه (المافيا) سوى التخلُّص منك ، وقرَّرت أن تكون هذه هى أُولى مهماتى فى منصب الزَّعامة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الضربة القاضية) .. المغامرة رقم (٤٩) .

ـ وهل تظنين ذلك أمرًا سهلًا .

هزّت كتفيها فى استهتار ، وهى تقول :

ـ كلّا بالطبع .. إنه لم يكن بالأمر الهيّن أو اليسير ، ولكن هأنتذا ترى نتائج خُطّتى ، فأنت تجلس فى قصرى ، وفى حجرتى الخاصّة ، أعزل من السلاح ، ومسدّسى مصوّب إلى رأسك ، وهذا يَعْنِى أننى نجحت .

تناهى إلى مسامعها فى تلك اللحظة صوت (أماريلُو) ورجاله ، وهم يصعدون فى درجات السلم ، إلى حيث حجرتها ، فأردفت فى سخرية :

ـ وهناك تسعة رجال على الأقل فى طريقهم إلى هنا ، وهذا يَعْنِى أنك قد وقعت أخيرًا يا (شيطان المافيا) .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ـ وقعت أخيرًا ؟! .. لِمَ لا تعملين فى مجال التمثيل الهزلى يا (دونا كارولينا) ؟ لقد أضحكتنى بالفعل .

غمغمت (كارولينا) فى حِدّة :

ـ لا تلجأ إلى الخداع يا سنيور (أدهم) .. لقد وقعت بالفعل .

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول فى سخرية :

ـ وقعت بالفعل ؟! .. خطأ يا عزيزتى .. أنت منحتنى وسيلة الفرار .

هتفت فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أجابها فى مرح :

ـ نعم أنت يا (دونا كارولينا) .

عادت تعقد حاجبيها ، وهىَ تقول فى تحدّ :

ـ وما هى أيها المُخادِع ؟

جاءت إجابة (أدهم) على هيئة حركة مباغتة سريعة ، اعتدل خلالها من رقدته العابثة ، ثم قفز نحو (كارولينا) ، وهو يميل إلى اليسار ، متفاديًا ، أية رصاصة قد تنطلق من مسدّسها ، وقبض على معصمها بقبضة فولاذيّة ، وأحاط عنقها بذراعه الأخرى ، وهو يقول فى سخرية :

ـ إنها أنت يا (دونا) .. أنت وسيلتى للفرار .

وفى نفس اللحظة ، اندفع (أماريلُو) ورجاله إلى الحجرة ..

* * *

٥ — رجل وأوغاد ..

تسمَّر رجال (المافيا) ، واتسعت عيونهم فى ذهول ، حينما أبصروا (أدهم) داخل حجرة زعيمتهم ، يحيط عنقها بذراعه اليسرى ، ويمسك معصمها بقبضته اليمنى ، ليوجِّه فُوَّهة مسدَّسها الفِضّى إليهم ، فصوَّبوا نحوه فُوَّهات مدافعهم الرشاشة ، والتفتوا إلى (أماريلُو) فى تُوتُّر ، وكأنهم يسألونه المشورة ، فقال فى صرامة ، وهو يصوِّب مسدَّس (أدهم) ، الذى عثر عليه فى الحديقة ، إلى ذلك الأخير :

— بِمَ تتصوَّر أن يفيدك ذلك أيها الشيطانُ المصرىّ ؟

أجابه (أدهم) فى مزيج من التحدّى والسُّخْرِيَة :

— فى مغادرة هذا القصر اللّعين أيها الوغد .

قال (أماريلُو) فى حِدَّة ، وهو يضغط على أسنانه فى غضب :

— أنت واهم إذن ، إننى لن أسمح لك بالخروج من هنا حيًّا ، حتى ولو اضطررت لقتل (دونا) .

قال (أدهم) فى برود :

— وهل ستوافق (دونا) على ذلك ؟.. وهل سيوافق رجالها على قتل زعيمتهم ؟

زمجر (أماريلُو) فى شراسة ، وهو يقول :

— إنها ليست الزعيمة بعد أيها الشيْطان المصرىّ .. إنها تعمل تحت وصايتى ، حتى تثبت أنها أهل للزَّعامة ، وإلّا أصبحت أنا زعيم (المافيا) .

غمغمت (كارولينا) فى هدوء ، على الرغم من ذراع (أدهم) الصُّلْبة ، التى تحيط بعنقها فى قوَّة :

— هذا صحيح يا سنيور (أدهم) ، الأمور كلُّها فى يد (أماريلُو) .

كان هذا يفسد خُطَّة الفرار التى وضعها (أدهم) ، اعتمادًا على أسر (دونا كارولينا) ، إلّا أنه قال فى هدوء :

—إنها فرصة مثالية إذن لتتخلَّص منها ، وتفوز بالزعامة ، بحجة أنها تُعوق رغبتك فى التخلُّص منّى .. يبدو أنك تطمح فى لقب (دون أماريلُو) ، ولا ترغب فى الانتظار طويلًا أيُّها الوغد .

تبادل رجال (المافيا) نظرات الشَّكّ ، وأخذوا ينقّلون

أبصارهم بين (كارولينا) و (أدهم) ، و(أماريلّو) ، الذى هتف فى عصبيّة :

— ماذا تريد أن تفعل بالضبط ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

— أريد أن أكشف خُطّتك القذرة أمام رجالك أيها الوغد .

صاح (أماريلّو) فى غضب :

— بل إنك تلعب نفس اللعبة القديمة ، التى سئمها الجميع أيها الشيطان المصرى .. لُعبة (فرِّق تسد) ، ولكن لن يمكنك خداعى .

زفر (أدهم) فى ضيق واضح ، ثم قال فى لهجة تشفّ عن نفاد صبره :

— حسنًا أيها الوغد .. إننى أسأم المحاضرات الفلسفية ، وأميل إلى الحوار العملىّ ، فإما أن تبتعد أنت وهؤلاء الأوغاد ، وتفسحوا لى طريق الانصراف من هذا القصر السخيف ، أو أحطِّم عنق (دونا كارولينا) أمام عيونكم .. ما قولك أيُّها المتحذلق السخيف ؟

رفع (أماريلّو) مسدّسه بامتداد ذراعه فى وجه (أدهم) ، وهو يقول فى غضب وعصبية :

— أقول إننى سأحطِّم رأسك برصاص مسدّسى ، ما لم تترك (دونا) فى خلال ثلاث ثوان أيُّها المتبجح .

ثم صاح فى رجاله بصوت هادر غاضب :

— سنمنحه هذه الثوانى الثلاث أيها الرجال ، وبعدها أطلقوا النار .. أطلقوها عليهما معًا .

* * *

كان من الواضح أن (أماريلّو) لا يمزح ، أو يحاول الخداع ، وأن غضبه قد جعله يلقى هذا الأمر ، وهو يقصد كل حرف من حروفه ، وشعر (أدهم) بحرج موقفه ، وبدأ عقله يبحث فى سرعة خرافيَّة عن مخرج من هذا المأزق الحرج ، قبل أن ينتقل (أماريلّو) ورجاله من مرحلة التهديد والوعيد إلى مرحلة التنفيذ ، إلّا أن (كارولينا) هتفت فجأة فى اشمئزاز :

— يالك من حقير يا (أماريلّو) !!

اتسعت عينا (أماريلّو) فى دهشة ، وهو يهتف :

— دونا ! ..

قاطعته فى غضب :

— يبدو أن كل كلمة نطق بها ذلك الشيطان المصرىّ حقيقة ، إنك تريد التخلُّص منّى لتحصل على الزعامة ..

لتنتزعها من أسرة (دون ريكاردو) .. سليلة أسرة (دون كيرليونى) مؤسِّس المنظمة .. إنك حقًا وغد ذميم .

هتف (أماريلُو) فى غضب :

ــ أيتُّها الحمقاء .. إنَّنى ..

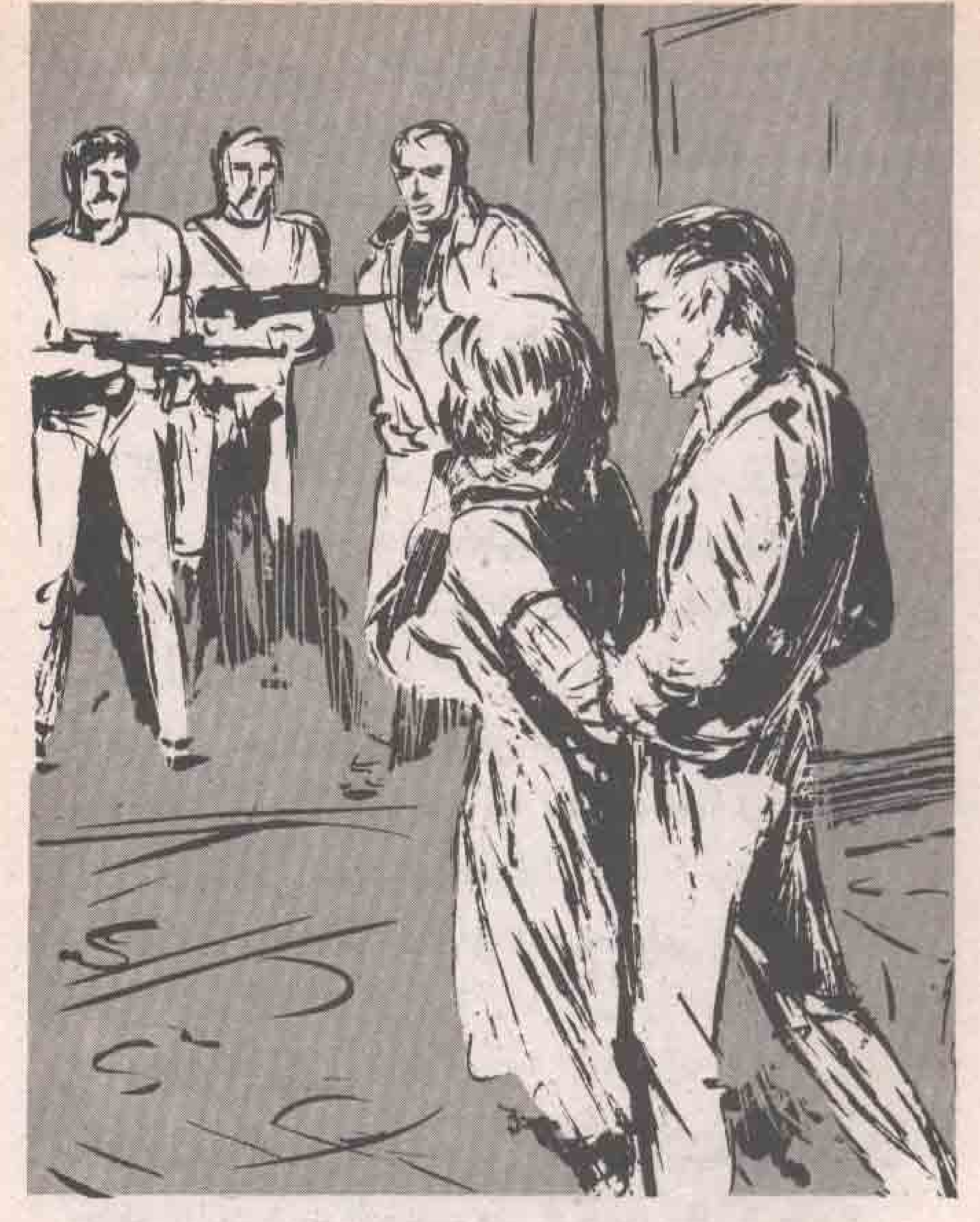
عادت تقاطعه فى حِدَّة :

ــ صَهْ يا (أماريلُو) .. لقد نفَّذت وعدى ، ونجحت فى إحضار (أدهم صبرى) إلى هنا ، مخاطرةً بنفسى ، حينما ذهبت إليه فى القاهرة ، وحينما جاء إلى هنا استطاع أن يخدعك ، ويجعلك تهرع إلى الحديقة ، دون أن يفارق الحجرة .. أنا وحدى تنبَّهت إلى خُدعته ، أما أنت فابتلعتها كالغِرِّ السَّاذج .. مَنْ مِنَّا إذن يستحق الزعامة ؟.. مَنْ مِنَّا يستحق طاعة هؤلاء الرجال ؟

كانت تتحدَّث فى مزيج من الغضب والحماس ، جعل رجالها يتفاعلون معها فى حماس مماثل ، فلم يملك (أدهم) نفسه من الإعجاب بذكائها ، حينما تخاذل (أماريلُو) ، وغمغم فى توتُّر :

ــ إننى لم أعترض على زعامتك يا (دونا) ، ولكن ..

مرَّة أخرى قاطعته فى حِدَّة ، جعلته يطبق شفتيه فى غضب ، وهى تقول :



وشعر (أدهم) بحرج موقفه ، وبدأ عقله يبحث فى سرعة خرافية عن مخرج من هذا المأزق الحرج ..

ـ سيطيع الجميع أوامرى أنا يا (أماريلّو) .. وستفعل ذلك مثلهم .

وجد (أدهم) أن الفرصة مثاليّة ، ليستعيد سيطرته على الأمر ، فعاد يقول فى صرامة :

ـ لقد أصابنى الضّجر .. يمكنكم تأجيل مناقشتكم هذه لما بعد ، أمّا الآن فلتفعلوا ما أمرتكم به .

كانت دهشته عظيمة ، حينما قالت (كارولينا) فى حدّة وصرامة :

ـ يبدو أنك أخطأت فهم الأمر يا سنيور (أدهم) .. إن خلافى مع (أماريلّو) لا يَعْنِى أننى سأسمح لك بالخروج من هنا .

وعلى الرغم من ذراع (أدهم) التى تحيط بعنقها فى قوّة ، وعلى الرغم من دقّة موْقفها ، إلّا أنها التفتت إلى رجالها ، وقالت فى صرامة أذهلت الجميع :

ـ مازالت الأوامر سارية يا رجال .. إذا رفض السنيور (أدهم) الاستسلام ، أو إطلاق سراحى فى خلال ثلاث ثوان ، أطلقوا النار علينا معًا .. وهذا أمر من (دونا كارولينا) .. زعيمة (المافيا) .

* * *

٦ ـ لهيب الليل ..

كان موقفًا دقيقًا ، لا يحسد عليه (أدهم صبرى) ..

لا يحسد عليه على الإطلاق ..

لقد كان يواجه ثمانية رجال مسلحين بالمدافع الرشّاشة ، ورجل يحمل له كل الكراهية والغضب ، ويصوّب إليه فوّهة مسدّسه فى تأهُّب ، ويحيط بذراعه عنق فتاة يعجز عن استنتاج طبيعتها ، أو حقيقة مشاعرها ، فهى إمّا مصابة بجنون مُطْبَق ، أو تمتلك مكر ودهاء قطيع من الثعالب ..

وعليه أن يتّخذ قراره فى ثلاث ثوان ..

ثلاث ثوان لا غير ..

وبالنسبة لأىّ مخلوق ، فى مثل هذا الموقف الدقيق العصيب ، كانت هذه الثوانى لا تكفى حتى للتخلّص من دهشته ، إزاء ذلك القرار المباغت العجيب ، الذى أصدرته (دونا كارولينا) ..

أمّا بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، فالأمر يختلف ..

يختلف كثيرًا ..

لقد تغلّب على دهشته فى النصف الأوّل من الثانية الأولى ، واتخذ قراره ، ووضع خُطّته فى النصف الثانى منها ، ثم وضعها موضع التنفيذ فى النصف الأوّل من الثانية الثانية ..

وفى حركة سريعة دقيقة مدروسة ، ترك (أدهم) عنق (كارولينا) ، ودفعها نحو رجالها فى قوّة ، ونحو (أماريلّو) بالذات ، حتى يحول جسدها بينه وبين رصاصاته ، ثم قفز قفزة رائعة أذهلت الجميع ، ارتفع بها عن الأرض قرابة المترين ، وأمال نصفه العلوى إلى أسفل ، وطوّح قدميه إلى أعلى ، وحطّم مصباح الحجرة بركلة مدهشة ، ذكّرتهم بحركة رياضية اشتهر بها الجوهرة السوداء (بيليه) ، فى ملاعب كرة القدم ..

وقبل أن يفيق الجميع من ذهولهم ، واصل جسده المرن دورته فى الهواء ، ليستقر مرّة أخرى على قدميه ، ثم اندفع نحو النافذة ، وقفز عَبْرَها ، ليختفى من أمام عيونهم كالشبح ..

وهنا فقط أفاق الجميع ، وصرخ (أماريلّو) فى غضب :

ــ الحقُوا به .. الحقُوا به قبل أن يفرّ أمام عيوننا .

ومرة أخرى وجدت (دونا كارولينا) نفسها وحيدة فى حجرتها ، بعد أن اندفع الرجال خلف (أدهم) إلى الحديقة ،

عَبْرَ سُلّم القصر الداخلىّ ، يقودهم (أماريلّو) ، الذى تحوّل إلى كتلة من الشراسة والوحشية والحَنَق ، فأدارت عينيها إلى النافذة ، التى قفز منها (أدهم) فى دهشة ، ثم لم تلبث أن ابتسمت فى إعجاب ، وهى تغمغم :

ــ رجل مثل هذا يستحقّ الفَوْز .. يستحق الفَوْز بالفعل .

* * *

حينما مسّت قدما (أدهم) أرض حديقة قصر (دونا كارولينا) ، كان يعلم أن موقفه بالغ الخطورة والصعوبة ، وأنه عليه أن يتحرّك فى سرعة مذهلة ، تفُوق حتى سرعته الشهيرة ، وأنه لا يمتلك سلاحًا فى مواجهة الجميع سوى عنصر المفاجأة ، وعليه أن يحسن استغلاله بأفضل وسيلة ممكنة ، أو يتوسّط قبره تلك الحديقة الأنيقة .

وكان يمتلك أيضًا شيئًا لا يمتلكه هؤلاء الأوغاد ..

خِبْرة سنوات من العمل فى القوّات الخاصة فى زمن الحرب ، وأكثر منها فى العمل فى المخابرات العامّة ..

كان ــ على عكسهم ــ يدرك تمامًا كيف تكون الحرب الخاطفة ، التى تصنع من رجل الصاعقة الواحد جيشًا صغيرًا ، يواجه العشرات دون خوف أو وَجَل ..

وإلى جوار كل هذا ، كان يمتلك قلبًا فولاذيًّا ، وشجاعة ترتجف أمامها الأسود ..

لقد كان يملك كل مايؤهِّله لحمل لقب (رجل المستحيل) ..

وتحرَّك (رجل المستحيل) ، فى نفس اللحظة التى مسَّت فيها قدماه أرض الحديقة ..

وتحرَّك عقله فى سرعة ونظام وإتقان ، منافسًا أحدث وأعظم أجهزة الكمبيوتر .

كان (أدهم) يعلم أن البوَّابة الرئيسية للقصر تقع فى جانبه الغربىّ ، وأن الحراسة تتكثَّف فى هذا الجانب بالذَّات ؛ لذا فلم يكد يلامس أرض الحديقة بأطراف حذائه ، حتى ثنى ركبتيه ، وغاص بجسده إلى أسفل ، يمتصّ صدمة الهبوط من ارتفاع سبعة أمتار ، ثم عاد ينتصب كلولب من الصلب القوىّ ، واندفع يعْدُو فى سرعة مذهلة نحو الجانب الشرقىّ من القصر ، ودار حوله فى قفزة رائعة ، ليجد نفسه أمام خمسة رجال من أوغاد (المافيا) ..

وفى غمرة الذهول والمفاجأة ، وقبل أن يتفوَّه أىٌّ منهم بكلمة ، أو يحرِّك إصبعًا ، كانت قبضة (أدهم) قد حطَّمت

فك أقربهم إليه ، وتركه يسقط كجوال من البطاطس الفاسدة ، والتقط مدفعه الرشَّاش فى خِفَّة ومهارَة ، وأطلق رصاصاته على الأربعة الآخرين ..

و (أدهم) يكره إراقة الدماء ..

يكرهها على الرغم من طبيعة عمله القاسية ، التى لا تعرف الرَّحْمة ..

وهو إلى جوار ذلك يجيد التصويب إلى درجة مذهلة ؛ لذا فقد أطاحت رصاصاته بالمدافع الرشَّاشة الأربعة ، دون أن تمسّ أيًّا من الرجال ..

وتراجع الرجال الأربعة فى رُعب ، وقد أذهلهم موقف (أدهم) ؛ لأنهم اعتادوا إراقة الدماء ، حتى ولو كان ذلك بلا طائل ، وارتفع فى المكان صوت العشرات من رجال (المافيا) ، الذين اندفعوا نحو مصدر الرصاصات بقيادة (أماريلُو) ..

كانوا يندفعون جميعًا من الجانب الجنوبى نحو الجانب الشرق ، الذى ارتفعت منه طلقات الرصاص ؛ لذا فقد استدار (أدهم) ، وعاد أدراجه إلى الجانب الشمالىّ ، وهو يعْدُو بنفس السرعة المدهشة ، وعَبَرَ الجانب الشمالى فى لحظة

واحدة ، ثم انحرف إلى الجانب الغربىّ ، حيث بوّابة القصر الرئيسيّة ..

وهناك استقبله ثلاثة من رجال (المافيا) بمدافعهم الرشّاشة ..

وانطلقت الرصاصات من الجانبين ، وسط ظلام الليل وسكونه ..

وسمع (أدهم) أزيز رصاصة تُعبر إلى جوار أذنه اليمنى ، واحتكَّت أخرى بذراعه اليسرى ، ومزَّقت قميصه ، وأدمت ذراعه ، وعَبَرت ثالثة بين ساقيه ، ولكن رصاصاته أطاحت بمدافعهم الرشّاشة الثلاثة ، فتراجعوا فى رعب ، وهم يرفعون أذرعتهم فوق رءوسهم فى ذُعر واضح ..

وفى تجاهل تام تجاوزهم (أدهم) ، واندفع داخل القصر ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها (أماريلّو) ورجاله إلى البوّابة الرئيسية ، وهو يصرخ فى جنون :

ـــ ماذا أصابكم أيها الملاعين ؟.. كيف تعجزون عن قتل رجل واحد ؟

همهم الرجال بكلمات غاضبة ، وهم يتدافعون ، ويتخبّطون فى محاولة لِعبور بوّابة القصر ، واللّحاق

بـ(أدهم) فى الداخل ، ولكن رصاصات مدفعه الرشّاش صنعت أمامهم حاجزًا من النيران ، جعلهم يتراجعون فى ذُعر ، وجعل (أماريلّو) يصرخ ، وقد بلغ غضبه وجنونه ذِرْوَتهما :

ـــ لا تتراجعوا أيها الجبناء .. لا تتراجعوا أيها الملاعين .. إنه وحده مع (دونا كارولينا) داخل القصر .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته ، ويغمغم :

ـــ مَنْ يَدرى أيها الأوغاد .. ربَّما كنت فى الجانب الأكثر خطورة .

تصلَّبت ابتسامته فوق شفتيه بغتةً ، وامتلأ قلبه بسخط شديد ، حينما سمع صوت (كارولينا) من خلفه ، وهى تقول فى مزيج من السخرية والجذل :

ـــ يبدو أنك على حقّ يا سنيور (أدهم) ، فأنا أقف خلفك ، ومسدّسى مصوَّب إلى رأسك .. ما قولك فى هذا ؟

* * *

٧ ــ شيطان فى الأسر ..

اجتاحت موجة عارمة من الغضب والسخط أعماق (أدهم) ، وخامره شعور بالمرارة والألم ، ودار بخلده لحظة أن يدور على عَقِبَيه ، ويفرغ رصاصات مدفعه الرشّاش فى جسد (كارولينا) ، إلّا أنه لم يلبث أن استنكر فكرة قتل امرأة ، حتى ولو كانت ترغب فى قتله ، فقال فى مزيج من الغضب والصرامة ، دون أن يلتفت إليها :

ــ عُودى إلى حجرتك يا (كارولينا) ، وأوصدى بابها خلفك ، فهذا مضمار الرجال ، لا روضة الأطفال .

أطلقت ضحكة ساخرة عابثة ، ثم قالت فى استخفاف :

ــ هكذا ؟! .. هل نسيت أيها الوقح أنك تخاطب زعيمة (المافيا) ؟

كان هذا القول يكفى لأن يدور (أدهم) على عَقِبِيه فى سرعة مذهلة ، ويطلق رصاصات مدفعه الرشّاش فى إحكام مذهل على مسدَّس (كارولينا) الفِضِّىّ الصغير ، فيطيح به

بعيدًا ، ولم ينتظر تلاشى صرخة الألم والذهول ، المفْعَمَة بالمرارة ، والتى انطلقت من بين شفتيها ، بل عاد يستدير ، ويطلق رصاصاته على باب القصر ، يمنع دخول رجال (المافيا) ، وهو يهتف فى صرامة :

ــ والآن عُودى إلى حجرتك يا زعيمة المهرِّجين .

ارتسم مزيج من السخط والغضب والاستنكار على وجه (كارولينا) ، وأطلقت صيحة غضب عالية ، ثم قفزت فجأة ، وتعلَّقت بعنق (أدهم) من الخلف ، وهى تصرخ :

ــ أيها الوقح !

ولم يكد (أماريلُّو) يلمح ماحدث ، حتى صاح فى رجاله :

ــ إنها فرصتكم يا رجال .. اهجموا .

واقتحم رجال (المافيا) القصر ..

* * *

كان الموقف يزداد صعوبة ودقة مع كل لحظة تمضى ..

لقد اقتحم مايقرب من ثلاثين رجلًا رَدْهة القصر ، ورفعوا فُوَّهات مدافعهم إلى الطابق العلوىّ ، حيث كان (أدهم) ينتزع ذراعى (دونا كارولينا) من حول عنقه فى خشونة ،

ويلقى بها بعيدًا فى حَنَق ، وهى تصرخ فى غضب واحتجاج ، كطفلة صغيرة انتزعوا لُعبتها قسرًا ، وصاح (أماريلُّو) فى سخط وصرامة :

ـــ ارفع يدك عنها أيها الشيطان المصرىّ .. لقد انتهى الأمر .

استدار (أدهم) فى حركة سريعة ، وكاد يعاود إطلاق النار ، إلَّا أن فُوَّهات المدافع المصوَّبة إليه ، والتى تتحفَّز أصابع أصحابها فوق أزندتها ، جعلته يزفر فى ضيق ، ثم يلقى مدفعه الرشاش جانبًا ، ويخفى ضيقه بابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـــ مؤقتًا أيها الوغد .

عقد (أماريلُّو) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ بل الآن أيها الشيطان .. لقد أخطأت اختيار موطنك ، فالشياطين تحيا فى الجحيم ، حيث سترسلك رصاصاتنا ..

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـــ ألا توجد وسيلة مواصلات أخرى أيها الخنزير الأحمق ؟

احتقن وجه (أماريلُّو) فى غضب هائل، وهو يصرخ :

ـــ أيها الوقح العنيد .. سأرسلك إلى الجحيم بالبريد السريع .

ثم صاح فى رجاله فى صرامة :

ـــ أطلقوا النار .

واندلع الجحيم ..

* * *

شىء آخر يكرهه (أدهم صبرى) ، أكثر مما يكره إراقة الدماء ..

الاستسلام ..

إنه يفضِّل أن يُقتَلُ ألف مرَّة ، وبأبشع وسيلة ممكنة ، على أن يستسلم للموت أو الهزيمة مرَّة واحدة ، حتى ولو كان احتمال الفوز يدنو من الصفر ..

لذا فقد أقدم (أدهم صبرى) على أعجب عمل فى حياته كلها ..

لقد قفز وسط رجال (المافيا) الثلاثين ، دون أن يحمل سلاحًا ..

لم يكد (أماريلُّو) يصدر أمر إطلاق النار ، حتى قفز (أدهم) من الشرفة الداخلية للطابق الثانى ، وترك جحيم

رصاصات رجال (المافيا) يدمِّر حاجز الشرفة ، ليهبط هو بينهم على قدميه ..

وبدأ (أدهم) أكبر قتال يائس فى حياته كلها ..

وحده فى مواجهة ثلاثين وغدًا ..

وحطَّمت قبضته فكّ أحدهم ، وهشّمت الأخرى أسنان الثانى ، وكسرت قدمه أنف الثالث ، وغاصت الثانية فى معدة الرابع .. ولكن ..

حتى (أدهم صبرى) لا يمكنه أن يهزم وحده ثلاثين رجلًا ، يحملون المدافع الرشاشة ، وهو يستخدم أطرافه وحدها ..

وأصابت صدره ضربة قويَّة من ماسورة مدفع رشّاش ، وهوت أخرى على ظهره فى قسوة ، ودفعته ثالثة إلى الخلف ، فتعثَّر وسقط على ظهره ، وغلبت الكثرة القوَّة والشجاعة ..

وارتفعت فُوَّهات المدافع الرشّاشة فى وجه (أدهم) ، الذى ابتسم فى سخرية ، حينما صرخ (أماريلُو) فى جنون :

ــ أطلقوا النار .. أطلقوا النار ..

* * *

اعتدل حارس مبنى المخابرات المصرية فى القاهرة ، ونصب

قامته فى احترام ، وهو يضرب كعبيه بعضهما ببعض فى قوَّة ، حينما عَبَرَت البوَّابة الحديدية الضخمة سيَّارة صغيرة ، من طراز مصرىّ الصنع ، تزخر بمثلها شوارع القاهرة ، وظلَّ على وقفته الثابتة حتى توقَّفت السيَّارة فى ساحة المبنى ، وهبط منها رجل وقور أشيب الشعر ، تبادل كلمة سريعة مع سائق السيَّارة ، ثم تحرَّك فى خطوات سريعة نحو المبنى ، حيث استقبله حارس آخر بنفس الوقفة المنتصبة الثابتة ، وهو يضغط زرّ مِصْعد صغير ، لم يلبث مصراعاه أن انزاحا فى هدوء ، فدلَف إليه الرجل الوقور ، وأخذ يصعد به إلى الطابق الثانى ، ولم يكد يغادره ، حتى أجاب التحية العسكرية التى استقبله بها أحد ضباط الإدارة ، وقال فى لهجة من اعتاد إصدار الأوامر :

ــ اطلب من (ن ــ ١) أن يأتى إلى مكتبى على الفور أيها الرائد (سامى) .

تردَّد الرائد (سامى) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ــ إنه لم يصل بعد يا سيِّدى .

توقَّف مدير المخابرات بغتةً ، قبل أن يدفع باب مكتبه ، وعقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ لم يصل بعد ؟!.. عجبًا .. إنها التاسعة والنصف ، وهو يأتى فى تمام الثامنة ، ما لم يكن فى مهمة خارجية .

وصمت لحظة مفكرًا ، ثم قال وهو يندفع إلى مكتبه :

ــ اتصل به هاتفيًا ، أو اذهب إليه بنفسك .. المهم أن يكون فى مكتبى بعد ساعة على الأكثر .

لم يكرِّر مدير المخابرات العامة مطلبه طوال الساعة التالية ، بل انهمك فى مراجعة عشرات الأوراق والتقارير ، ودراسة عدد من العمليات التى تتولاها الإدارة ، أو التى تستعد لتوليها ، حتى سمع طرقات على باب مكتبه ، فقال دون أن يرفع عينيه عن الأوراق :

ــ ادخل يا من تدقّ الباب .

دفع الرائد (سامى) الباب ، وبدا الاضطراب واضحًا فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ــ لم نعثر على المقدّم (أدهم صبرى) يا سيِّدى .

رفع المدير رأسه إليه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ ماذا تعنِى بأنك لم تعثر عليه ؟.. إن الأوامر صارمة فى هذا الشأن ، وهى تؤكد ضرورة معرفة مكان تواجد أى ضابط مخابرات فى أية لحظة من الليل أو النهار .

هَزَّ الرائد (سامى) كتفيه ، وهو يقول فى حَيْرة واضطراب :

ــ ولكننا لم نعثر عليه يا سيِّدى .. كل ما استطعنا معرفته من بوَّاب مسكنه ، أن فتاة أجنبية قد زارته فى الثانية صباحًا ، وأنه لم يكن يعرفها من قبل ، وأنهما قد انصرفا معًا فى الثالثة والنصف تقريبًا .

عقد مدير المخابرات حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ــ فتاة أجنبية ؟!.. انصرفا معًا ؟!.. ماذا يَعْنِى ذلك ؟

ثم استطرد فى انفعال :

ــ اتصل بمطار القاهرة يا (سامى) ، واطلب منهم موافاتنا بكل كشوف المسافرين ، على كل الخطوط ، ولكل الجهات ، من الثالثة والنصف صباحًا وحتى الآن .

وأردف وهو يعقد حاجبيه فى حنق :

ــ ولن يدهشنى أن يكون (ن ــ ١) فى هذه اللحظة مشتبكًا فى صراع لا أدرى كنهه ، مع قاذفة قنابل ، على جبال التبّت .

وزفر فى ضيق ، قبل أن يتابع :

ــ يبدو أن هذا الرجل يعشق الخطر .. أو أنه يبحث عن الموت .

* * *

٨ ـ الزعيمة ..

كان الموت آتيًا لا ريبَ فى هذه المرَّة ..

ثلاثون رجلًا يصوِّبون فُوهات مدافعهم الرشَّاشة إلى (رجل المستحيل) ، يقودهم (أماريلُو) الذى لا يحمل له إلَّا كل الكراهية والبغض ، وهو أمامهم عاجز عن المقاومة ، يبتسم فى سخرية ، وكأنما يؤكِّد استهتاره بالموت ، واستهانته به ..

وكانت الأصابع تتلهَّف لإطلاق النار ، والعيون تحمل الوحشية والشراسة ، والشماتة والحقد ، والقلوب تمتلئ بالغضب والظفر ..

وفجأة توقَّف كل شىء ..

توقَّف كما لو كان مشهدًا سينمائيًا ، تحوَّل بغتةً إلى صورة ثابتة ..

توقَّف حينما صاحت (دونا كارولين) فجأة فى صرامة :

ــ كفى .. إننى أريده حيًّا .

امتزجت الدهشة بالغضب على الوجوه ، وهمهم الرجال بكلمات ساخطة ، وصاح (أماريلُو) فى غضب واستنكار :

ــ ماذا تقولين يا (دونا) ؟ .. لقد ظفرنا به ، والرجال ينشدون الانتقام .

أجابته فى برود ، وهى تتطلَّع إليه من أعلى شرفة الطابق الثانى ، فى غطرسة متعمَّدة :

ــ ينشدون الانتقام لماذا يا (أماريلُو) ؟ .. إننى لا أرى أحدكم غائبًا .. إنه لم يرق نقطة دماء واحدة ، على الرغم من كل ما حدث الليلة .

صاح (أماريلُو) فى غضب :

ــ وماذا عن الأنوف المحطَّمة ، والأسنان المكسورة ، والفكوك المهشَّمة ؟ .. وماذا عن مقاومته لنا ؟

تألَّق جَذَل عجيب فى عينيها ، وهى تقول فى سخرية :

ــ ماذا أصابك يا (أماريلُو) ؟ .. هل كنت تريده أن ينحنى أمامك ، ويرجوك أن تقتله بسرعة ؟ .. لقد كان من الطبيعى أن يقاوم ، ولا تنس أنه كان يستطيع قتل نصفكم على الأقل .

زمجر (أماريلُو) ، وهو يهتف فى شراسة :

ــ اسمعى يا (دونا) .. لسنا جمعيَّة خيريَّة ، أو اجتماعية .. لقد تسبَّب هذا الرجل فى مصرع عظماء (المافيا) ، ولقد ظفرنا به ، ولن ..

كان (أدهم) يتصوَّر أن (كارولينا) مجرَّد مراهقة ، تحاول القيام بدور الزعيمة ، إلَّا أنها بدت أهلًا لهذا الدَّوْر ، حينما قاطعت (أماريلُو) في صرامة ، وصوت قاس ارتجف له هذا الأخير ، على الرغم من شراسته :

ـ (أماريلُو) !.. هل نسيت من أنا ؟.. هل أنساك غضبك الأعمى عقوبة اعتراض أوامر زعيمة (المافيا) ؟

ساد الصمت لحظة، نهض خلالها (أدهم) في هدوء، وعقد ساعديه أمام صدره في استهتار، ثم صاح (أماريلُو) في غضب :

ـ كلَّا .. لم أنس يا (دونا) ، ولكنك لم تصبحي بعد زعيمة (المافيا) .. إنني أنا الذى يقرِّر ذلك .

ارتسمت ابتسامة عابثة على شفتي (كارولينا) ، وهي تقول في سخرية :

ـ هكذا ؟!

وفي حركة سريعة ، وقبل أن ينتبه أحد ، رفعت (كارولينا) مسدَّسًا ذهبيًّا ، وأطلقت منه رصاصة واحدة ، استقرَّت بين عيني (أماريلُو) ، الذى جحظت عيناه في مزيج من الذُّعر والذهول والألم ، وعدم التصديق ، ثم هوَى تحت أقدام رجاله جثة هامدة ، والدماء تندفع من الثقب الذى بين عينيه في غزارة ..



رفعت (كارولينا) مسدَّسًا ذهبيًّا ، وأطلقت منه رصاصة واحدة ، استقرَّت بين عيني (أماريلُو) ، الذى جحظت عيناه ..

ورفع (أدهم) عينيه إلى (كارولينا) فى دهشة ..

لم يدر بخلده لحظة أنها قادرة على فعل ذلك ..

ولقد تضاعفت دهشته ، حينما رأى ذلك البريق الذى يطلّ فى عينيها ..

لقد كانت تبدو هادئة ، جذلة ، كما لو أنها تمارس لُعبة لطيفة ، لا عملية قتل بشعة ..

وتراجع رجال (المافيا) فى خطوات بطيئة ، وهم ينقّلون أبصارهم بينها وبين جثة (أماريلّو) ، قبل أن تقول هى فى هدوء :

ـ الآن أصبحت الزعيمة الفعلية لـ (المافيا) بلا مشاكل .

ثم أشارت إلى شاب وسيم ، مفتول العضلات ، يقف وسط الرجال ، وقالت فى صرامة :

ـ (برونو) .. ستصبح أنت ساعدى الأيمن منذ هذه اللحظة ، وعليك أن تذهب بجثة هذا السخيف بعيدًا ، ومُرْ الرجال بالمحافظة على أسيرنا ، حتى أُلتقى به فى حجرة مكتبى بعد نصف ساعة .

أجابها (برونو) فى حماس :

ـ كما تأمرين يا (دونا كارولينا) .

ارتسمت ابتسامة زهو على شفتى (كارولينا) ، وألقت نظرة عجيبة على (أدهم) ، ثم استدارت فى هدوء ، واتجهت إلى حجرتها فى خطوات هادئة ، فى حين التفت (برونو) إلى (أدهم) ، وأشار إلى رجاله ، قائلًا فى صرامة :

ـ هل سمعتم ؟ .. نفّذوا أوامر الزعيمة ..

وابتسم (أدهم) فى سخرية ..

لقد نجا من الموت هذه المرَّة ..

ومن يدرى ؟ ..

لعل ذلك من سوء حظ الزعيمة ..

من سوء حظ (دونا كارولينا) ..

* * *

عقد مدير المخابرات المصريَّة حاجبيه ، وهو يلقى الكشوف التى أرسلتها إليه إدارة المطار جانبًا ، ويقول فى غضب :

ـ إذن فقد سافر (أدهم) هكذا ، فجأة ، ودون أن يخطر الإدارة إلى (روما) ، بصحبة فتاة مجهولة ، لا ندرى عنها شيئًا ، ولسبب غير معروف .. يا لها من إدارة !!

بدت الغيرة واضحة فى صوت (منى توفيق) ، وملامحها الغاضبة ، وهى تقول :

ــ كان ينبغى أن يخطرنى على الأقل .

هتف مدير المخابرات فى حَنَق :

ــ بل كان ينبغى أن يخطر الإدارة ، حتى نعلم على الأقل أين ينوى أن يَلْقَى حَتْفه !

انقبض قلب (منى) لهذا القول ، وغمغمت فى توتُّر :

ــ لست أظن الأمر بهذه الخطورة يا سيِّدى .

مطَّ شفتيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ مَنْ يدرى أيتها النقيب (منى) ؟

ثم التفت إلى الرائد (سامى) ، وقال فى حِدَّة :

ــ هل حصلتم على أوصاف الفتاة من البوَّاب ؟

أومأ الرائد (سامى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ إنهم يحاولـون وضع رسمٍ مناسب لها ، بنـــاءً على الأوصاف التى أدلى بها يا سيِّدى .

عاد مدير المخابرات يعقد حاجبيه ، وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يقول ، وكأنه يحادث نفسه :

ــ هناك نقطة غامضة فى هذا الأمر .. بل عدة نقاط ،

فمن المؤكَّد أن (أدهم) لم يتبع هذه الفتاة برغم إرادته ، فلا توجد قوَّة فى الأرض يمكنها أن تدفع هذا الشاب لإتيان عمل يرفضه ، ومن العجيب أن يسافر إلى (روما) بجواز سفره الأصلىّ ، وهو يعلم أن كل رجل فى (المافيا) يتمنَّى موْته ، وعدم إخطاره الإدارة يَعْنِى أن الأمر لم يكن يتعلَّق بأمن الدولة.. فلِمَ فعل ذلك ؟

غمغمت (منى) ، والغَيْرة تقطر من حروف كلماتها :

ــ ربَّما فعله من أجلها !

أجابها المدير فى شرود :

ــ ولكن مَنْ هى ؟.. من الفتاة التى تدفع (أدهم صبرى) لذلك ؟.. مَنْ ؟

* * *

« دونا كارولينا » ؟!

هتف (أدهم) باسم (دونا كارولينا) فى دهشة بالغة ، حينما دخلت إلى حجرة مكتبها ، التى يحتجزه فيها عشرة رجال بمدافعهم الرشَّاشة ، وهى ترتدى ثوبًا أزرق اللون ، من الحرير الطبيعى ، جعلها تبدو كملكات الجمال ، وقد صبغت شفتيها بطلاء شفاه قرمزىّ ، أضيف إلى لونى شعرها وعينيها ،

فبدت فى صورة مدهشة ، وابتسمت لدهشته ، وهى تقول فى هدوء :

ــ هل أدهشتك رؤيتى بكامل زينتى ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ بل أدهشنى أن زعيم (المافيا) يستخدم طلاء شفاه من هذا اللّون .

كان يتوقَّع منها أن تغضب ، إلّا أنها أطلقت ضحكة مرحة ، وجلست على المقعد المواجه له ، والتقطت من فوق مكتبها سيجارة ، دسَّتها بين شفتيها ، وأشعلتها فى هدوء ، ثم نفثت دُخانها فى عمق ، وهى تسأله بالألمانية :

ــ هل تتحدَّث الألمانية يا هِرّ (أدهم) ؟

أجابها بلغة ألمانية رائعة :

ــ بالطبع .. ولكن لِمَ تسألين ؟.. هل سنتحدَّث فى أمر لا تريدين أن يعلمه رجالك ؟

ابتسمت لفطنته ، وهى تقول :

ــ هذا صحيح .. إنهم أوباش ، لا يجيدون إلّا الإيطالية ، وبعض الإنجليزية .

ثم مالت نحوه ، وهى تسأله فى اهتمام :

ــ كم لغةً تتحدَّث يا هِرّ (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء ، وهويتساءل عن سرِّ أسئلتها :

ــ لست أدرى .. حينما بدأت عملى كنت أجيد ست لغات ، بخلاف لغة بلادى ، أمّا الآن فلقد أضفت إليها ثلاثًا أو أربع لغات أخرى .

تألَّقت عيناها فى جذل ، وهى تقول :

ــ رائع .. وكم من فنون القتال ؟

ظلَّت ملامحه هادئة ، لا تشفُّ عن التساؤل الذى يملأ أعماقه ، وهو يقول :

ــ كلها .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، ثم هتفت فى جذل :

ــ يا لك من رجل !

مال (أدهم) نحوها ، وهو يسألها فى برود :

ــ ماذا تريدين بالضبط يا (دونا) ؟

استرخت فى مقعدها ، ونفثت دُخان سيجارتها فى هدوء ، وهى تتطلَّع إليه قائلة :

ــ أنت يا هِرّ (أدهم) .

قال بنفس البرود :

— لست أفهم .

مالت نحوه بغتةً ، وتطلّعت إلى عينيه مباشرة ، وهى تقول :

— لا تتظاهر بالغباء يا هِرْ (أدهم) .. إنك تفهم جيّدًا ما أريده .. إنك خير زوْج لى .

غمغم فى سخرية :

— زوْج ؟!

هزّت كتفيها ، وهى تقول :

— نعم .. إنك رجل غير عادىّ يا هِرْ (أدهم) ، ويمكنك أن تصبح بكلمة واحدة الزعيم الفعلى لـ (المافيا) ، وزوجى .

ثم أردفت فى خُيَلاء :

— زوج (دونا كارولينا) .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— وماذا لو رفضت ؟

مطّت شفتيها ، وهى تقول فى أسف :

— ستجبرنى على اتخاذ خطوة أكرهها يا عزيزى (أدهم) .

وتألّقت عيناها مرّة أخرى فى جذل ، وهى تردف فى صرامة :

— ستجبرنى على قتلك .

اعتدل (أدهم) فى مقعده ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وأجابها فى هدوء ساخر :

— لا تضيعى الوقت إذن يا (دونا) .. إننى أرفض .

ظهر الغضب على ملامحها لحظة ، ثم رفعت مسدّسها الذهبىّ فى وجهه ، وهى تقول فى حِدّة :

— إنك لم تترك لى الخيار إذن .. وداعًا يا هِرْ (أدهم صبرى) .

* * *



٩ ـ النيران ..

اقتحم الرائد (سامى) حجرة مدير المخابرات المصرية على نحو مفاجئ ، وهتف فى اضطراب واضح ، وهو ينقّل بصره بين (منى) والمدير :

ـ لقد عرفنا شخصية الفتاة يا سيِّدى .

ارتسم القلق على وجه (منى) ، فى حين هتف المدير فى توتُّر :

ـ مَنْ هى يا (سامى) ؟

دفع الرائد (سامى) صورة فوتوجرافية ملوَّنة أمام عينَـي المدير ، وهو يقول فى انفعال :

ـ لقد أرسلنا الرسم الذى صنعه فنان الإدارة ، بناءً على الوصف الذى أدلى به البوَّاب إلى مكتبنا فى (روما) ، بواسطة جهاز (الفوكسمول)(*) ، فأرسلوا إلينا بهذه الصورة ، التى تطابق الوصف تمامًا ، والتى تعرَّفها البوَّاب على الفور .

تأمَّل مدير المخابرات الصورة ، وهو يقول :

ـ إنها تطابقه بالفعل ، ولكن مَنْ هى ؟

نقَّل (سامى) بصره مرَّة أخرى ، بين المدير و (منى) ، ثم أجاب فى توتُّر :

(*) الفوكسمول ، أو الفاكسمول : هو جهاز ينقل الصور والوثائق والرسوم ، عن طريق خطوط الهاتف ، وهو شائع الاستعمال فى الوقت الحالى .

ـ (دونا كارولينا) .. زعيمة (المافيا) الجديدة .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، فى حين تركت (منى) جسدها يتهاوى على مقعدها ، وهى تهتف فى جَزَع :

ـ زعيمة (المافيا) ؟!.. يا إلهى !

وهتف المدير فى مزيج من الدهشة والحَيْرة :

ـ وما الذى يدفع (أدهم) إلى السفر مع زعيمة (المافيا) ، إلى وكرها فى قلب (روما) ، وهو يعلم جيِّدًا أن (المافيا) كلها تسعى خلفه ؟!

هزَّ (سامى) كتفيه فى حَيْرة ، وقال :

ـ لقد دار بخلدى أنها قد اختطفت شقيقه الدكتور (أحمد) ، ولكننى اتصلت به هاتفيًا ، فوجدته فى خير حال ، يزاول عمله فى هدوء ، فى مستشفى (استوكهولم) ، ولقد زادنا ذلك حَيْرةً .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ لست أفهم .. الأمر كله غير مفهوم .

وهنا نهضت (منى) فى حركة حادَّة ، وهى تقول فى حزم :

ـ سيِّدى .. أريد السفر إلى (روما) ، على متن أول طائرة تغادر الـ ...

قاطعها المدير فى صرامة :

ـــ اهدئى يا (منى) ، كلنا نعلم قوّة العاطفة التى تربطك بـ (أدهم صبرى) ، ولكن الأمور لم تصل إلى هذه المرحلة من الفَوْضَى والتخبُّط بعد ، يكفينا ما يصنعه بنا (أدهم) .
تصاعدت دماء الخجل إلى وجنتيها ، وهى تغمغم فى اعتراض :
ـــ ولكن يا سيِّدى ..
عاد يقاطعها فى صرامة ، وهو يلتقط سمَّاعة الهاتف :
ـــ قلت اهدئى .. ستسير الأمور على النسق المألوف ، سأتّصل برجال مكتبنا فى (روما) أوَّلًا ، وأطلب منهم إجراء التحرّيات اللازمة ، والتأكيد على (أدهم) بالعودة إلى القاهرة فورًا .
ثم أردف وهو يدير قرص الهاتف :
ـــ إذا كان ما يزال على قيد الحياة .

* * *

لم يحرِّك (أدهم) ساكنًا ، ولم تهتزّ فى جسده شعرة واحدة ، حينما صوَّبت (كارولينا) مسدَّسها الذهبىَّ إلى رأسه ، كل ما فعله هو أن ابتسم فى سخرية ، وقال فى هدوء ، وهو يتطلَّع إلى عينى (كارولينا) فى برود :
ـــ هل يرُوق لك اختيار الألوان البرَّاقة لمسدَّساتك يا (دونا) ؟

عقدت (كارولينا) حاجبيها ، وهى تقول فى غضب :
ـــ ليس هذا قول رجل مُقْدِم على الموت يا هِرّ (أدهم) .
انحنى نحوها ، وهو يقول فى هدوء ساخر :
ـــ لماذا تريدين قتلى يا (دونا) ؟.. أمن أجل رفض الزواج منك فقط ؟
هتفت فى عصبية :
ـــ لقد تسبَّبت فى مصرع والدى ، وكل أشقّائى .
اعتدل فى مقعده ، وهو يقول فى هدوء :
ـــ خطأ يا (دونا) .. إننى لم أقتل من زعماء (المافيا) سوى (جروشو مانيانى) ، ولقد رفع هو مسدَّسه أولًا ـــ حينذاك ـــ وكان يستحق القتل ، أما الباقون ، فلم أقتل أحدهم بيدى ، فأنا ـــ سبق أن ذكرت ـــ أكره إراقة الدماء ، إلَّا فى حالات الضرورة القُصوَى .
خفضت مسدَّسها ، وهى تقول فى حِدَّة :
ـــ ولكنك المسئول عن مصرعهم جميعًا .
هزَّ كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :
ـــ لقد كان كل منهم يريد قتلى .
نهضت من مقعدها فى حركة عصبية ، وزوَّت ما بين حاجبيها ، وكأنها تفكِّر فى عمق ، ثم قالت لـ (أدهم) فى برود .

— مازال عرضى ساريًا يا هر (أدهم) .. ولكننى سأمنحك مهلة للتفكير ، وخلال هذه المهلة سيسجنك رجالى فى قبو القصر ، ولتعلم أن هذا القبو خال من النوافذ والمخارج تمامًا ، فيما عدا بابًا خشبيًّا ضخمًا ، سيقوم بحراسته عشرة من رجالى ، ولن يمكنك الفرار .

ثم ابتسمت فى سخرية ، وهى تردف :

— ولن تجد فى القَبْوِ سوى زجاجات الخمر ، ولعلها تساعدك على اتخاذ القرار الصحيح .

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى (أدهم) ، وهو يقول فى هدوء :

— ستساعدنى بالتأكيد يا (دونا) .. وأرجو ألا يزعجك قرارى .

* * *

لم يكد رجال (المافيا) يغلقون باب القبو الخشبىّ الضخم خلف (أدهم) ، حتى شرع فى العمل فى سرعة ، ومهارة ، لينفِّذ الخطَّة التى أوحت بها إليه (دونا كارولينا) ..

والتقط عشرات من زجاجات الخمر ، التى يمتلئ بها القَبْو ، وأخذ ينزع سدادتها فى مهارة ، ثم خلع قميصه ، وأخذ يمزِّقه إلى قطع صغيرة ، بلَّل كلًّا منها ببعض الخمر ، ثم أخذ

يدسُّها فى فُوَّهات الزجاجات واحدة بعد الأخرى ، ولم يكد ينتهى حتى سكب بعض الخمر فى ركن القَبْو ، وحمل بعض الزجاجات ، وأخذ يرصّها فى عناية أمام الباب الخشبى ، ثم عاد إلى الخمر الذى سكبه ، وخلع حذاءيه ، وهو يغمغم فى سخرية :

— مِنْ حُسْن الحظ أن صانع الأحذية الذى أتعامل معه ، يصرُّ على إضافة تلك القطع المعدنية إلى أطراف الأحذية ، سأمنحه مكافأة على ذلك ، إذا ما قُدِّر لى مقابلته فى القاهرة .

وأدنى الحذاءين من الخمر المسكوب ، وأخذ يحك الطرفين المعدنيين ببعضهما فى قوَّة ، حتى قفزت منهما شرارة ناريَّة صغيرة ، لم تكد تمسّ الخمر ، حتى أشعلت فيه النيران ، فتنهَّد (أدهم) فى ارتياح ، وقال :

— يبدو أننى قد وجدت أخيرًا فائدة لتلك السموم .

وألقى ماتبقَّى من قميصه وسط النيران ، التى ازدادت اشتعالًا ، والتقط قطعة من القميص المشتعل ، وأسرع إلى الزجاجات المتراصَّة إلى جوار الباب الخشبى ، وأشعل النيران فى القطع القماشية التى تسدّ فُوَّهاتها ، ثم أسرع عائدًا إلى ركن القَبْو ، وسدَّ أذنيه بكفَّيه ، وهو يقول فى هدوء :



وأسرع إلى الزجاجات المتراصَّة إلى جوار الباب الخشبى ، وأشعل النيران فى القطع القماشية التى تسدّ فُوَّهاتها ..

— والآن حَذَارِ من الضغط المتولِّد من الانفجــار ، ولتشتعل النيران التى تذكينها يا (دونا كارولينا) .

★ ★ ★

انحنى (برونو) ليشعل سيجارة (دونا كارولينا) بقدَّاحته ، وابتسم حينما نفثت دُخَانها فى عصبيَّة واضحة ، ثم تنحنح ، وقال فى خفوت :

— أمازلت تصرِّين على الاحتفاظ بذلك الشيْطان المصرىّ يا (دونا) .

قلَّبت شفتيها ، وهى تقول فى حَنَق :

— لم أقرِّرْ بعدُ يا (برونو) .

عاد يتنحنح ، قبل أن يسألها فى هدوء :

— هل تريدين رأيى يا (دونا) ؟

عقدت حاجبيها فى ضيق ، وهى تقول :

— هاتِ ما بدا لك .

تردَّد لحظة ، ثم اندفع قائلًا :

— إننى أرى أن نقتله على الفور ، ودون تردُّد .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى تقول فى عصبيَّة :

— لماذا ؟

لوَّح بكفِّه ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ إنها الوسيلة المُثلَى للتخلُّص منه يا (دونا) ، فلقد هزم السابقين ؛ لأنهم لم يقتلوه على الفور ، فهذا الرجل شيطان مَرِيد ، ولا يعدم وسيلة لإثارة القلق والاضطراب ، حتى وهو سجينٌ فى قَبْوٍ مغلق .

أطلقت ضِحْكَة عصبية ساخرة ، وهى تقول :

ـــ وماذا يمكنه أن يفعل فى قَبْوٍ مُغْلَق أيها الذكىّ ؟

هزَّ (برونو) رأسه فى حَيْرة ، وقال :

ـــ لست أدرى يا (دونا) ، ولكنه شَيْطان ..

نهضت فى حركة حادَّة ، ولوَّحت بذراعيها فى عصبيَّة ، وهى تقول :

ـــ وماذا يمكنه أن يفعل ؟.. لا توجد بالقَبْو سوى زجاجات الخمر و ...

بترت عبارتها فجأة ، واتسعت عيناها فى ذُعْر ، وهى تردِّد :

ـــ يا للشَيْطان !! زجاجات الخمر !!

ولم تكد تتم عبارتها حتى دوَّى الانفجار ، وعلم الجميع ماذا يمكن أن يفعل (أدهم صبرى) ..

* * *

١٠ ـــ من أعماق الموت ..

دوَّى الانفجار قويًّا ، عنيفًا ، مفاجئًا ، وانتزع الباب الخشبىَّ الضخم من مكانه ، ودفعه ليرتطم بأربعة من الحرَّاس العشرة ، ويهوى فوقهم ، وسط سحابة ضخمة من الدُّخَان ، وألسنة النيران ..

واستدار الحرَّاس الستة الآخرون ، يواجهون مدخل القَبْو بمدافعهم الرشاشة ، وهم يرتجفون من فرط المفاجأة والانفعال ، وأطلقوا رصاصاتهم فى غزارة ، حتى خُيِّل إليهم أنه من المستحيل أن يبقى رجل واحد على قيد الحياة ، وسط ذلك الجحيم ..

وفجأة اندفع (أدهم) من قلب الموت ..

اندفع على نحو ألقى الرعب فى قلوب الحرَّاس الستة ، وهو يخترق سحب الدُّخان ، وألْسِنة النيران ، حاملًا زجاجتى خمر ، اشتعلت فُوَّهتاهُمَا ..

وفى حركة سريعة مدروسة ، ألقى (أدهم) إحدى الزجاجتين نحو باب القصر ، فانفجرت لتصنع حائلًا من النيران

أمامه ، وألقى الأخرى نحو مكتب (كارولينا) ، ليمنعها من مغادرته ، ثم استدار يواجه الرجال الستة ..

حدث كل ذلك فى جزء من الثانية ، حتى أن الحرّاس الستة قد عجزوا تمامًا عن وصف ما فعله (أدهم) ..

كل ما ذكره الأوّل هو أنه قد فوجئ بمدفعه الرشّاش يطير بعيدًا ، وبلكمة تهوى على فكّه أفقدته الوَعْىَ ، وقال الثانى إنه قد تشبّث بمدفعه ، ولكن أنفه تحطّم بغتة ، وانفجرت قنبلة بين عينيه ، لم يذكر بعدها حَدَثًا واحدًا ، أما الثالث والرابع فقد أكدًا أنهما أرادا إطلاق النار على (أدهم)، إلّا أنه اختفى فجأة ، ثم هوت على مؤخرتى عنقيهما صاعقتين ، كان فيهما فصل الختام ، وأصرّ الخامس على أن ذلك الذى تفجّر فى فكّه كان صاروخًا موجّهًا ، فى حين ادّعى السادس أن سقف القصر قد هوى على رأسه ..

المهم أن (أدهم) أصبح يمتلك مدفعين رشّاشين ، بعد ثلاث ثوان فقط من بدء القتال ، واندفع يعْدُو وهو يحملهما إلى نافذة فى الجانب الأيسر للرَّدْهَة ، وعبَرَها بقفزة رائعة ، محطّمًا زجاجها السميك ، وما أن وجد نفسه فى حديقة القصر ، حتى أخذ يطلق رصاصات مدفعيه فى كرم حاتمىّ ،

وهو يشق طريقه إلى (الجراج) حيث تحتفظ (دونا) بسيّاراتها ..

وتناثرت رصاصات رجال (المافيا) حول (أدهم) ، وأحاطت به من كل جانب ، إلّا أن إحداها لم تمسّه بسوء ، وكأنما هى تحترمه أو تخشاه ..

حتى وصل إلى (الجراج) الذى بقى دون حراسة ، لسوء حظ رجال (المافيا) ..

كانت هناك خمس سيّارات أنيقة تحتلّ (الجراج) الضخم ، وقفز (أدهم) إلى أصغرها حجمًا ، وهى سيّارة قويّة من نوع الـ (بورش) ، التى تستخدم فى سباقات السيّارات ، وأدار محرّكها فى سرعة ، وهو يغمغم فى سخرية :

— من الخطإ ترك مفاتيح السيّارة داخلها يا أوغاد (المافيا) .

استجاب محرّك السيّارة على الفور ، وأخذ يهدر فى حماس داخل (الجراج) ، فى حين اقترب رجال (المافيا) فى سرعة ، ورصاصاتهم تنهمر كالمطر ..

وانطلق (أدهم) بالسيّارة ..

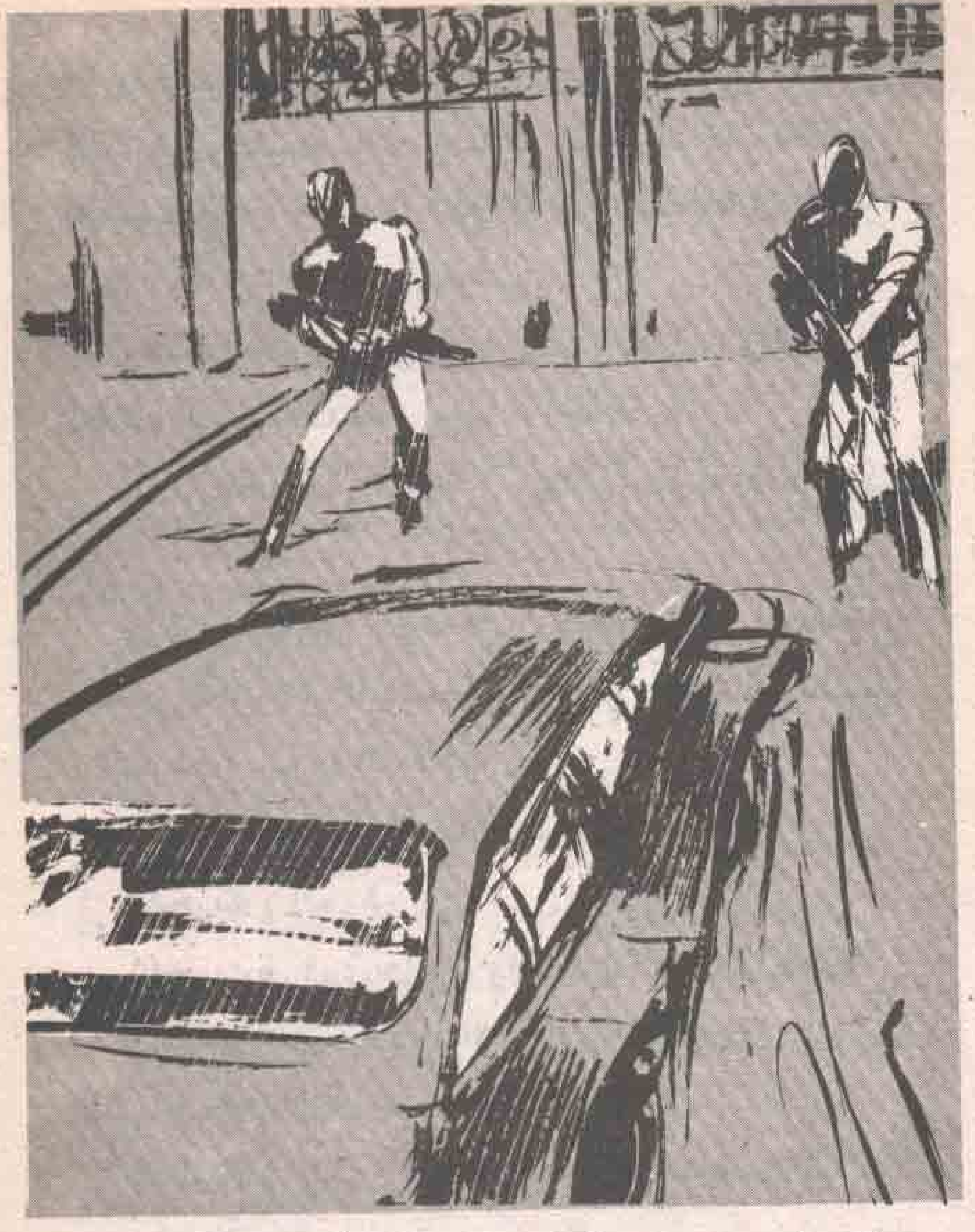
انطلق يشقّ طريقه بين رجال (المافيا) ، وهو يقود السيّارة فى براعة منقطعة النظير ، مستخدمًا يمناه فقط ، فى حين أخذ يطلق رصاصات مدفعه الرشّاش بيسراه ..

وأصاب الجنون رجال (المافيا) ، فأخذوا يطلقون رصاصاتهم نحو السيَّارة ، التى أخذ (أدهم) يميل بها فى مناورات بارعة ، متقنة ، متفاديًا الرصاصات ، ومتخذًا طريقه إلى بوَّابة القصر الخارجية ..

وفجأة انفجر إطار السيَّارة الأمامىّ الأيسر ، إثر رصاصة صائبة من رصاصات رجال (المافيا) ، ومالت السيَّارة فى سرعة وقوَّة ، وارتفعت إطاراتها اليمنى عن الأرض ، وبدا لحظة وكأنها ستنقلب رأسًا على عقب ، ولكن (أدهم) أمال عجلة القيادة إلى اليمين فى قوَّة ، وأمكنه أن يعيد السيَّارة إلى وضعها الأوَّل فى مهارة ، ثم اندفع بها ، على الرغم من إطارها الممزَّق نحو البوَّابة ، فى حين اندفع رجال (المافيا) نحو السيَّارات الأخرى ، ليطاردوه ، وألقى أحدهم تحذيرًا لحارِس البوَّابة الرئيسية ، متأهِّبًا لملاقاة (أدهم) ، وما أن رأياه يندفع نحوهما بالـ (بورش) ، حتى رفعا مدفعيهما الرشاشين فى وجه سيارته ، وأطلقا النار ..

* * *

رأى (أدهم) حارسى البوَّابة ، وهما يرفعان مدفعيهما الرشاشين فى وجهه ، فأحنى رأسه فى سرعة ، وزاد من سرعة سيَّارته إلى أقصَى حدٍّ ممكن ..



رأى (أدهم) حارسى البوَّابة ، وهما يرفعان مدفعيهما الرشاشين فى وجهه ، فأحنى رأسه فى سرعة ، وزاد من سرعة سيَّارته ..

واخترقت رصاصات الحارسين الزجاج الأمامىّ للسيّارة ، وهشّمته تمامًا ، ونفذت منه إلى الزجاج الخلفى ، فتهشّم بدوْره ، وتناثرت قطع الزجاج الصغيرة فى السيّارة كلها ، ولكن (أدهم) لم يتوقّف ..

واتسعت عيون الحارسين فى ذعر وذهول ، وقفزا جانبًا ليتفاديا السيّارة المندفعة ، وصرخ أحدهما :

ـــ لن يمكنه عبور البوّابة .. ستنفجر سيّارته إذا ما ارتطم بها ..

ولكن (البورش) لم تتوقّف ، فاندفع الحارسان يعْدُوَان مبتعدين بكل ذعرهما وذهولهما ، ومن خلفهما ارتطمت (البورش) بالبوّابة الفولاذيّة ..

وحدث ما توقّعه الحارسان تمامًا ..

انفجرت (البورش) ..

انفجرت فى دوِىّ هائل ، واشتعلت النيران فى بقاياها ..

واستدار الحارسان يتطلّعان إلى النيران المشتعلة فى ذُهول ، ثم لم يلبث أحدهما أن غمغم فى شماتة :

ـــ لقد قتل نفسه .. لن تتبقى منه إلّا كُومَةٌ من الرَّماد .

وتمتم الآخر فى سُخْرِية :

ـــ لقد اختار لنفسه النّهاية المناسبة ، فالنيران هى خير قبر لشياطين الجحيم .

ولكن سخريتهما وشماتتهما تلاشت فجأة ، وحلّ محلها الرُّعب والفزع ، حينما سمعا من خلفهما صوتًا متهكّمًا ، يقول فى بُرود :

ـــ وماذا عن شياطين الأرض ؟

استدار الحارسان إلى مصدر الصوت فى سرعة وذُعر ، ولكن استدارة أولهما لم تكتمل فقد ارتطمت فكّه بقبضة (أدهم) الفولاذيّة ، أما الثانى فقد شعر بمطرقة من الصلب تغوص فى معدته ، ثم سقط إثر أخرى هوَت على فكّه ، وحطّمت أسنانه ..

وأدار (أدهم) عينيه إلى (البورش) المشتعلة ، وتنهّد وهو يغمغم فى سخرية :

ـــ يبدو أن مغادرة قصر (دونا كارولينا) أكثر صعوبة من دخوله .. لو لم أقفز من السيّارة فى اللحظة المناسبة ، لتحوّلت كما قال هذان الوغدان إلى كُومَة من الرَّماد .

ثم التقط أحد المدفعين الرشاشين ، وأسْرَع إلى الكوخ الخشبىّ الصغير ، المجاور للبوّابة ، وتأمّل لوحة الأزرار الضخمة ، التى تحتلّ جانبه ، وهو يتمتم متهكّمًا :

ـ يا للتكونولوچيا !!.. حتى هذه البوَّابة الضخمة تفتح أوتوماتيكيًا .

وعقد حاجبيه ، مستطردًا فى سخرية :

ـ ولكن هؤلاء الأوغاد لم يضعوا لوحة إرشادات .. سيكون علىَّ أن أبحث وسط هذا الخِضَمّ من الأزرار ، عن ذلك الذى يفتح البوَّابة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انعكست على نافذة الكوخ أضواء السيَّارات الأربع ، التى خرجت لمطاردته ، فأردف فى هدوء :

ـ وينبغى أن أجده فى سرعة مناسبة ، وإلَّا كان على جثتى أن تبقى إلى الأبد فى قلب الموت ..

* * *

بدت (منى) شديدة القلق والتوتُّر ، وهى تلتفت إلى الرائد (سامى) ، الذى بدا أكثر قلقًا وتوتُّرًا منها ، وهو يقول لمدير المخابرات :

ـ يبدو أن المقدَّم (أدهم) ما زال على قيد الحياة يا سيِّدى ، وإن كنت أخشى ألَّا يستمرّ ذلك طويلًا .

غمغم المدير ، وهو يعتدل فى مقعده فى اهتمام :

ـ هاتِ ما لديك يا (سامى) .

تنهَّد (سامى) ، قبل أن يقول :

ـ لقد أبلغنا أفراد مكتبنا فى (روما) أنهم ذهبوا إلى قصر (دونا كارولينا) ؛ لتحرِّى أمر المقدَّم (أدهم) ، فوجدوا أصوات الرصاصات تدوِّى فى كل مكان ، والنيران تشتعل فى جزء من القصر ، كما لو كان يخوض حربًا ضارية .

لاح شبح ابتسامة إعجاب على شفتى المدير ، وهو يغمغم :

ـ يا للرجل !!.. يبدو أن (أدهم) يشنّ عليهم حربًا بالفعل .

ثم عاد يقول فى قلق :

ـ ألم يحاولوا التدخُّل لمعاونته ؟

أجابه الرائد (سامى) :

ـ لا يمكنهم اقتحام قصر (دونا كارولينا) يا سيِّدى ، ولكن أحد رجالنا ينتظر خارجه ، وسيعاون المقدَّم (أدهم) ، إذا ما نجح فى الخروج من هناك حيًّا .

تهالكت (منى) على مقعدها ، وهى تغمغم :

ـ نعم .. إذا ما نجح فى الخروج حيًّا .

وتركت دموعها تسيل على وجنتيها فى صمت ..

* * *

١١ ـــ العَوْدَة ..

أشار أحد رجال (المافيا) إلى بوَّابة القصر الرئيسية المفتوحة ، وهو يقول فى حَنَق :

ـــ لقد نجح ذلك الشيْطان المصرىّ فى الفرار .. البوَّابة مفتوحة .

توقَّفت السيَّارات الأربع ، على بعد أمتار قليلة من (البورش) المشتعلة ، وقال أحد الرجال ، وهم يهبطون من السيَّارات :

ـــ إذا كان قد فعل فقد فرَّ على قدميه ، فسيارته تلتهمها النيران .

أسرعوا يفحصون المكان ، و (الكوخ) الخشبىّ ، ثم قال أحدهم فى حزم :

ـــ لم يعُد هناك شكّ .. لقد انطلق على قدميه .. هيَّا .. سنحاول اللَّحاق به .. على أن يبقى (چونيو) و (ليوناردو) لحراسة البوَّابة .. هيَّا .

عاد الرجال فى سرعة إلى سيَّاراتهم ، التى انطلقت عَبْرَ البوَّابة المفتوحة ، فى حين زفر (ليوناردو) فى ضيق ، وهو يقول فى سخط :

ـــ لماذا يتركون لنا المهام المضجرة دائمًا ؟.. هل يتوقعون أن يعود ذلك الشيطان إلى هنا ، بعد أن نجح فى عبور البوَّابة ؟

حرَّك (چونيو) رأسه فى حَنَق ، وقال :

ـــ من المستحيل أن يعود .. بل أكثر من مستحيل .

وهنا انبعث من خلف (الكوخ) صوت هادئ ساخر ، يقول :

ـــ وماذا لو أنه لم يغادركم بعد أيها الوغدان ؟

رفع الاثنان مدفعيهما الرشاشين ، فى حركة ملؤها الذُّعر والدهشة ، نحو الكوخ ، وغمغم (چونيو) فى توتُّر بالغ :

ـــ يا للشيطان !!.. إنَّه ما يزال هنا .

أشار إليه (ليوناردو) ، وهو يقول فى همس وصرامة :

ـــ سيكون هذا آخر خطإ يرتكبه يا رفيقى ، سندور حوْل الكوخ ، كلٌّ من ناحية ، وسنحاصره فيما بيننا ، ونطلق عليه النار .

عقد (چونيو) حاجبيه ، وهو يغمغم فى شراسة :

ــ لن أدَّخر وُسْعًا فى تحويل جسده إلى مِصْفاة ، ولن أدَّخر طلقاتى .

اندفع الاثنان نحو الكوخ ، والتفَّا حوله فى حركة سريعة ، ثم توقَّفا فى دهشة ، وغمغم (ليوناردو) :

ــ إنه ليس هنا .. أين ذهب إذن ؟

ارتجف جسداهما ، حينما أتت الإجابة من أعلى ..

من فوق الكوخ الخشبىّ ..

أتت فى صوت ساخر بارد ، يقول :

ــ هنا أيها الوغدان ..

وقبل أن يرفع أيهما رأسه إلى مصدر الصوت ، أو يحرِّك إصبعًا واحدًا ، كان (أدهم) قد قفز وسطهما ، وحطَّم أنف (چونيو) بلكمة كالقنبلة ، وهشَّم فكّ (ليوناردو) بأخرى صاعقة ، وتركهما يهوِيان أرضًا ، ثم ابتسم فى سخرية ، وهو يقول فى هدوء :

ــ يا للأغبياء !! لقد أصبح الطريق أمامك خاليًا يا (أدهم) .. حتى القاهرة .

وتحرَّك خطوة ، وكأنما يهم بعبور البوَّابة المفتوحة ، ولكنه لم يلبث أن توقَّف ، وعقد حاجبيه مفكِّرًا ، قبل أن يدير عينيه إلى قصر (دونا كارولينا) ، ويغمغم فى صرامة :

ــ كلَّا يا (أدهم) لم يحن وقت الانصراف بعد .

ودار على عَقِبَيه فى حزم ، واتجه فى خطوات واسعة ، والثقة نحو القصر ..

* * *

أشعلت (كارولينا) سيجارتها ، ونفثت دُخَانها فى عصبية ، وهى تقول فى حِدَّة :

ــ مجموعة من الأغبياء .. إننى أتزعَّم مجموعة من الأغبياء يا (برونو) .

عقد (برونو) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ــ ليس إلى هذا الحدّ يا (دونا) .

لوَّحت بذراعيها فى حَنَق ، وهى تهتف :

ــ ليس إلى هذا الحدّ ؟!.. ماذا تقول يا (برونو) ؟.. ألم تر ما فعله هؤلاء الأغبياء ، بسبب اندفاعهم فى غضب ، دون تفكير ، أو رويّة ؟.. لقد أصبحت أنا وأنت وحدنا داخل القصر كله .. بلا حماية .. بلا حرَّاس .. هل رأيت ما هو أكثر غباءً من ذلك ؟

زفر (برونو) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ كان هذا حتميًّا يا (دونا) .. لقد أفقد ذلك الشيطان

ثمانية من رجالنا وعيهم حتى الآن ، ولابدَّ من أن نطلق خلفه كلَّ مَنْ بَقِىَ .

صاحت فى عصبية :

ـــ خطأ .. إنك كما يقول الإنجليز ، تلقى كل البيض فى سَلَّة واحدة ، وهذا أقصر طريق للفشل .

ثم أردفت فى غضب :

ـــ وكيف يفعلون ذلك دون استشارتى ؟.. ألست الزعيمة ؟

زفر (برونو) مرَّة أخرى فى حَنَق ، وأشاح بوجهه وهو يقول :

ـــ أنا أمرتهم بذلك يا (دونا) .

اتسعت عيناها فى دهشة ، لم تلبث أن تحوَّلت إلى غضب هادر ، وهى تصرخ :

ـــ أنت ؟!.. كيف تجرؤ ..؟

قاطعها فى ضيق ونفاد صبر :

ـــ مهلًا يا (دونا) .. لقد اخترتنى بنفسك لأتزعَّم هؤلاء الرجال و ..

قاطعته هى فى غضب :

ـــ ومن قال إن هذا يَعْنِى إلغاء زعامتى أنا ؟

عقد حاجبيه فى حَنَق ، وهو يقول :

ـــ إنه لا يَعْنِى إلغاء شخصيَّتى أيضًا يا (دونا) .

صرخت فى ثَوْرَة :

ـــ بل يَعْنِى ذلك .. يَعْنِيه بالتأكيد .. إن المنصب الذى منحتك إيَّاه يجعلك مجرَّد منفِّذ لأوامرى ، أو ناقل لها على الأكثر ، وليس ..

قاطعها فى ثَوْرَة مماثلة :

ـــ وأنا أرفض يا (دونا) .. إن هذا النظام الديكتاتورى لم يطبَّق أبدًا فى أوساط (المافيا) .

كادت (كارولينا) تصرخ فى وجهه مرَّة أخرى ، لولا أن تردَّد فى المكان صوت هادئ، يقول فى سخرية :

ـــ هذا صحيح يا (دونا)

وكان صوت (أدهم صبرى) ..

* * *

اتسعت عينا (كارولينا) فى دهشة ، وتراجع (برونو) ، وهو يهتف فى ذهول :

ـــ أنت ؟!

كان (أدهم) يبدو هادئًا ، وهو يستند إلى باب الرَّدْهة ، ويبتسم فى سخرية ، ممسكًا مدفعًا رشّاشًا فى تراخ ، دون أن يصوِّبه إلى (دونا) ورفيقها ، وهو يقول فى برود :

ـ نعم .. هو أنا أيها الوغد .

أُرْتِجَ على (برونو) إزاء هذا الموقف ، ولم يجد ما يتفوَّه به ، بعكس (كارولينا) ، التى تغلَّبت على دهشتها فى سرعة ، وهى تقول فى غضب :

ـ لماذا عُدت ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وهو يقول :

ـ لست أدرى .. لقد ترك لى رجالك الأغبياء الطريق خاليًا ، وكدت أهرب بالفعل ، لولا أن خامرنى شعور بأن هذا التصرُّف أقرب إلى الجبن ، فعُدت أدراجى إلى هنا .

وهنا حُلَّتْ عقدةُ لِسان (برونو) ، وهتف فى سخط :

ـ سأقتلك أيُّها الشّيْطَان المِصرىُّ .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول فى برود :

ـ هكذا ؟!.. وكيف تنوى أن تفعل أيها المرعب ؟

صاح (برونو) فى غضب ، وهو يشير إلى المدفع الرشّاش :

ـ من السهل أن تتبجَّح ، وأنت تحمل هذا الشىء .

عقد (أدهم) حاجبيه فى غضب ، وألقى المدفع الرشّاش جانبًا ، وهو يقول :

ـ هأنذا بدونه أيها الوغد .. أرِنى ما يمكنك فعله .

كانت فرصة مثالية لـ (برونو) ، وعضلاته المفتولة ، فأطلق صيحة قتالية مخيفة ، وانقضَّ على (أدهم) صارخًا :

ـ سأقتلك .. سأقتلك أيُّها الشّيْطان المصرىّ .

* * *



١٢ ـــ المواجهة الأخيرة ..

كانت انقضاضة (برونو) رائعة ، بارعة ، متقنة ، ولقد انطلقت قبضته نحو فكّ (أدهم) كالقنبلة ، ولكن (أدهم) حافظ على ابتسامته الساخرة ، وهو يميل بجسده إلى اليمين ، متفاديًا لكمة (برونو) ، الذى اختلّ توازنه ، حينما أصابت لكمته الهواء ، وتمالك نفسه فى صعوبة ، ثم لكَمَ (أدهم) لكمة أخرى ، تفاداها (أدهم) بالأسلوب نفسه ، وهو يميل يسارًا ، ويقفز إلى الخلف ، قائلًا فى تهكُّم :

ـــ المران أيها الوغد .. ينقصك الكثير من المران .. إنك حقًّا مفتول العضلات ، ولكنك تتحرَّك فى تثاقل كثَوْر بَدِين .

صاح (برونو) فى غضب :

ـــ سأقتلك .

واندفع نحو (أدهم) ، وكال له لكمة ثالثة ، تفاداها (أدهم) أيضًا بقفزة جانبية ، ثم وقف هادئًا ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ ألم أقل لك ؟.. إنك بطىء حتى أننى أستطيع أن أتناول قدحًا من القهوة قبل أن أتفادى لكمتك .

صرخ (برونو) فى غضب :

ـــ إنك تتبجَّح فحسب أيها الشيطان ، ولكنك لم توجِّه إلىَّ لكمة واحدة حتى الآن .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـــ لا بأس .. أنت الذى طلبت ذلك .

كانت (كارولينا) تجلس هادئة ، تنفث دُخان سيجارتها ، وتتابع الموقف فى شغف عجيب ، وارتفع حاجباها فى مزيج من الدهشة والإعجاب ، حينما انقضّ (برونو) على (أدهم) للمرَّة الثالثة ، وهو يصرخ فى جنون ، وتفادى (أدهم) لكمته بنفس البساطة السابقة ، ثم هوى على فكّه بلكمة كالقنبلة ، وهو يقول :

ـــ هاك أول لَكْمة .

ترنَّح (برونو) من شِدَّة الألم ، ودارت عيناه فى محجريهما ، وهو يغمغم :

ـــ أيها الوقح .. سأقتلك .. سأ ..

لم يزد (برونو) حرفًا واحدًا بعد هذه الكلمات ، فقد



وتفادى (أدهم) لكمته بنفس البساطة السابقة ، ثم هوى على فكِّه بلكمة كالقنبلة ..

انقضَّ عليه (أدهم) انقضاضة لَيْثٍ ، وغاص بقبضته فى معدته كمطرقة من الصُّلْب ، تأوَّه لها (برونو) فى قوَّة ، ثمَّ أعقبها بلكمة ساحقة ، هشَّمت أنفه ، وأخرى صاعقة ، أطارت خمسًا من أسنانه ، وألقت به فاقد الوَعْي ..

ونفض (أدهم) كفيه فى استخفاف ، ثم التفت إلى (كارولينا) ، قائلًا فى سخرية :

— يبدو أنكِ ستضطرين لاختيار مساعدٍ آخر يا (دونا) .

واجهه مسدَّسها الذهبيّ ، الذى تصوَّبه إليه فى هدوء ، وهى تقول :

— لا داعِى يا سنيور (أدهم) ، لا أعتقد أن حالة (برونو) ستمنعه من دفن جثتك ، حينما يستعيد وعْيَهُ .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، واقترب منها ، قائلًا فى هدوء :

— ألا تلاحظين معى أن هذا مكرَّر يا (دونا) ؟

أجابته فى صرامة :

— فى هذه المرَّة سيسدل السِّتار على صوْت رصاصة .

تألَّق بريق عابث فى عينى (أدهم) ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !!.. إننى أنتفض رُعْبًا .

وفجأة ، وبدون سابق إنذار ، تحرَّكت قدم (أدهم) فى سرعة ، وركلت مسدَّس (كارولينا) الذهبىّ ، فشهقت هى فى دهشة وذُعْر ، فى حين قفز (أدهم) فى خفة ، والتقط المسدَّس فى الهواء ، ثم دسَّه فى جيب سِرْواله ، وهو يقول فى هدوء :

ــ سأحتفظ به تذكارًا منك يا (دونا) .

لم تغضب (دونا كارولينا) هذه المرَّة ، وإنما تطلَّعت لحظة إلى (أدهم) فى دهشة ، ثم لم تلبث أن أطلقت ضحكة مرحة عابثة ، وهى تقول :

ــ يا للخسارة !! يؤسفنى أنك ترفض الزَّواج مِنِّى .

هزَّ كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ يؤسفنى ذلك أيضًا يا (دونا) ، وربَّما تجدين فى المستقبل من هو أفضل منِّى .

تأملَّته فى هيام ، وهى تغمغم :

ــ لا يوجد من هو أفضل منك .

ثم اعتدلت فى مقعدها ، والتقطت سيجارة أخرى ، وهى تقول فى اهتمام :

ــ هل هناك فتاة أخرى ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى هدوء :

ــ نعم .

سألته فى شغف :

ــ أمصريَّة هِىَ ؟

ابتسم وهو يقول :

ــ بالضرورة ، فمن المستحيل أن تفهم طبيعة المصرىَّ سوى المصريَّة .

عادت تسأله فى فضول :

ــ هل يمكننى معرفة اسمها على الأقل ؟

تردَّد لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

ــ (منى) .. (منى توفيق) .

ظهر الأسف على وجهها ، وهى تغمغم :

ــ كم أحسدها !!

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

ــ إنها رائعة .

أومأت برأسها فى تفهُّم ، وهى تغمغم :

ــ بلا شكّ ، ما دامت قد استحوذت على قلب رجل مثلك .

ثم استرخت فى مقعدها ، وهى تقول فى بساطة :

— ماذا تنوى أن تفعل بى يا سنيور (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

— لا شىء .. لقد أردت أن أنتصر فحسب .

ظهر الاهتمام على وجهها ، وهى تقول :

— هل تعْنِى أنك ستتركنى هكذا ؟.. ألن تحاول قتلى أو إيذائى ؟

هتف فى دهشة :

— كلَّا بالطبع .

عقدت حاجبيها فى تفكير عميق ، ثم لم تلبث أساريرها أن انفرجت ، وهى تقول :

— أعتقد أن مشاكلك مع (المافيا) قد انتهت يا سنيور (أدهم) .

عقد حاجبيه بدوْره ، وهو يغمغم :

— ماذا تَعْنِين ؟

لوَّحت بكفها ، وهى تقول فى هدوء :

— أعْنِى أن المباراة قد انتهت يا سنيور (أدهم) .. لقد انتصرت فى آخر جولة ، ولن تتعرَّض لك (المافيا) بسوء بعد الآن .

غمغم فى شك :

— أهى محاولة خداع أخرى يا (دونا) ؟

ابتسمت وهى تقول :

— بل معاهدة سلام .

ونفثت دُخان سيجارتها ، قبل أن تستطرد فى مرح :

— لقد انتصرت على (المافيا) فى كل الجولات حتى الآن ، وأعتقد أن هذا يكفى ، فلن أضيع لحظة واحدة من وقت المنظمة من أجلك بعد الآن .

تطلَّع إليها فى حَيْرَة ، وهو يقول :

— من العسير أن أصدِّق ذلك يا (دونا) .

مطَّت شفتيها ، وهى تقول :

— صدِّق أوْ لا تصدِّق يا سنيور (أدهم) ، ولكنها الحقيقة .. ستجد فى (الجراج) الخلفى سيَّارة واحدة ، يمكنك أن تستقلَّها ، وستجد أن أحدًا لن يعترض طريقك ، وستغادر (روما) فى أمان .

ثم أردفت فى حزم :

— إنها كلمة زعيمة (المافيا) يا سنيور (أدهم) .

ومدَّت يدها تصافحه فى حرارة ، وهى تستطرد فى قوَّة :

— كلمة (دونا كارولينا) .

وانتهت الحرب الضروس ..

* * *

١٣ ـ الختام ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة والنصف مساء ، حينما اندفع الرائد (سامى) إلى مكتب مدير المخابرات ، وهو يهتف فى سعادة :

ـ لقد عاد المقدّم (أدهم) يا سيِّدى .

هبَّ المدير من خلف مكتبه ، وهو يهتف فى اهتمام :

ـ عاد !!.. وأين هو ؟

ظهر (أدهم) على باب الحجرة ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ هأنذا يا سيِّدى .

أطلقت (منى) صيحة فرح ، وهى تندفع نحوه ، وتقول فى سعادة :

ـ حمدًا لله يا (أدهم) .. حمدًا لله على عودتك سالمًا .

ربَّت على كتفها فى حنان ، فى حين استعاد المدير صرامته ، وهو يقول :

ـ ما هذا الذى فعلته يا (أدهم) ؟.. هل تعلم أنه يمكننى معاقبتك على ذلك ؟

أجابه (أدهم) فى أسف :

ـ أعلم يا سيِّدى .

عاد المدير يقول فى صرامة :

ـ لماذا سافرت إلى (روما) ؟.. ومع (دونا كارولينا) بالذات ؟

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

ـ يبدو أنكم تعلمون الكثير كالعادة يا سيِّدى ، ولكن هناك ما لا تعلمونه أيضًا .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ مثل ماذا ؟

أشار إلى حُلَّته الأنيقة ، وهو يقول :

ـ مثل أن هذه الحُلَّة ملك لأحد رجال (المافيا) ، ومثل أنهم قد أوصلونى إلى المطار بكل احترام ، على الرغم من أننى لم أبدِّل ملامحى ، أوْ ألجأ إلى الخداع .

ظهرت الدهشة على وجوه الجميع ، وغمغمت (منى) فى حَيْرَة :

ـ وكيف حدث ذلك ؟

ابتسم وهو يقول فى مَرَح :

ـ لقد كدت أصبح زوْج (دونا كارولينا) أيُّها السَّادة .
هتفت (منى) فى استنكار ودهشة :
ـ ماذا ؟! .
أطلق ضحكة مَرِحَة ، وهو يقول :
ـ من حسن الحظ أنَّ هذا لم يحدث ياعزيزتى ، وإلَّا ماعدت إلى هنا أبدًا .
ثم أردف فى خبث :
ـ وسيدهشكم أيضًا أن الحرب بينى وبين (المافيا) قد انتهت إلى الأبد .
شعرت (منى) ببعض الغَيْرَة ، وهتف المدير فى اهتمام :
ـ وكيف حدثت هذه المعجزة ؟
اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :
ـ سأقصّ عليكم كل شىء ياسيِّدى ..
وأردف وهو يتأمّل (منى) فى حبّ صادق :
ـ سأقصّ عليكم قصة تلك الطفلة الساديَّة ، التى تتزعَّم (المافيا) .
صمت لحظة ، ثم استطرد فى عُمْق :
ـ قصَّة (دونا كارولينا) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩